عمر لطفي النجار

الكرامة في الفكر الصوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

- مقدمة:

إن من نظر في شؤوننا نحن العرب والمسلمون، سيرانا نملك العقل كالآخرين، ورغم ذلك فنحن متخلفون علمياً، وإن بحثت عن السبب فلا بدَّ لك من إدراك ضرورة الارتباط ما بين العقل والمنهج العلمي، وإن بحثت جيداً أو أكثر، فسوف تدرك من جهة أخرى، أن العقل والتصوف لا يلتقيان. فبالتصوف بالخرافة تم اجتياف العقل، وما أعظم الأثر الصوفي فكرياً وعملياً على الأجيال! فليس من أسباب وكل شيء جائز، ولا محال أمام إرادة الأولياء ولا جهل معرفي على الإطلاق، إنها الأسرار، إنه الكشف والواردات الإلهية، وهكذا مات العقل، ولم يعد له من دور في تسخير الطبيعة أو في اكتناه أسرارها، حيث لا تسخير لها ولا سيطرة عليها إلا بالخوارق والكرامات، وليس هذا فحسب بل أصبحنا نؤمن بأنه لا معرفة صحيحة إلا برقي الإنسان للملأ الأعلى، أو بتلقيها عن الكائنات العليا عن طريق الرياضات المشروطة بالبعد عن العالم المادي والكائنات الدنيا، وعن طريق قهر البدن واغتيال العلاقة بين الحس والمحسوس.

التصوف أو الغنوص إن تركت جانباً الأديان الكشفية الصريحة التي عند الهنود والفرس واليونان وإلى ما هنالك، ستجده وقد عشعش في ثنايا الدين، وبالدين حافظ على بقائه مستمراً حتى الآن، ودفعاً لهذه الشبهة وحباً باستعادة العقل الذي كرمه الله في كتابه ورغبة في نجاة أبنائنا من

الوقوع في براثن الخرافة، علينا نحن العرب النظر في علاقة الإسلام بالغنوص، وبهذا فقط نستطيع إبعاد الخرافة عن فكرة المقدس الديني.

التصوف كما هو معلوم منهج ذو هدفين أولاهما: تحصيل المعرفة اللدنية الشاملة لكل الوجود حيث لا جهل عندها على الإطلاق. وثانيهما: تحصيل الخوارق التي دونها ما عُبد وثن ولا صنم ولا بشر. ولكن لا بد بادئ ذي بدء من التنويه إلى بعض المبادئ الإسلامية التي لها التمييز بين الخوارق والكرامات، وهي كما يلي:

١ – الكرامة لن تكون للإنسان عن طريق مخالفة القرآن والنبوة.

٢ – معجزات الأنبياء يعجز عنها الإنس والجن ولن تكون إلا للأنبياء.

٣ – يستحيل أن تكون الكرامة برهاناً لطرد العقل، كما يستحيل أن تكون لأغراض غير خلقية.

٤ – الكرامة هبة إلهية لا تَعَمُّل للعبد في تحصيلها عن طريق الرياضات ولا معرفة سلفاً بها لمن جرت بين يديه.

٥ – كل الخوارق التي تكون عن مخالفة للدين والعقل أو المستخدمة لأغراض غير خلقية تعود بأصلها إلى السحر والتخييل

المؤدي إلى الشبه بالمعجزات. ومن أجل إدراك طبيعة الكرامة في الفكر الصوفي مقارنة مع ما تعنيه هذه المبادئ كان هذا الكتاب.

ـ الكرامة والإيمان:

الكرامة وفق المعتقد الإسلامي حق وغير جائز إنكارها، وقد ورد في مختصر الفتاوي المصرية أن: "كرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام، وقد دلَّ عليها القرآن في غير موضع والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم. وإنما أنكر الكرامة أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم"[١]، فقصة نجاة أصحاب الكهف وقصة مريم عليها السلام مع الطعام وجذع النخل وغير ذلك، وقصة الذي أتى بعرش بلقيس، ذاك الذي عنده "علم الكتاب" كل أولئك وغيرهم حدثت لهم الكرامات لا المعجزات لأنهم على الأقل ليسوا بأنبياء. والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حدثت لبعضهم الكرامات، فحسب روايات ابن حنبل أن عمران بن حصين كانت الملائكة تسلِّم عليه وهو مريض"[٢]، والأسود بن كلثوم طلب من ربه الشهادة وأن تكون جثته طعاماً للسباع والطير فاستجاب الله له وكان له ما طلب"[٣]، وهرم بن حيان ظللت الغمامة قبره حين استشهاده في غزاة فرشته"[٤]، ومطرف بن الشخير كانت آنية بيته تسبح معه"[٥]، وكان طرف سوطه يضيء له

---

[١] ـ ص٧٥ تاريخ التصوف الإسلامي
[٢] ـ ص٢٨٦ الزهد
[٣] ـ ص٢٥٦ نفسه
[٤] ـ ص٢٨٢، ٢٨٥ نفسه
[٥] ـ ص٢٩٦ نفسه

بالليل"[1]، وكان لقبره رائحة المسك"[2]، وكذلك كانت الرائحة الذكية تُشم من قبر عبد الله بن غالب"[3]، ومسلم بن يسار بقيت جثته سبعة أيام لم تتغير"[4]، وأويس القرني شفاه الله من البرص ولما مات بسجستان "وجد معه أكفان لم تكن معه"[5]، وأبو مسلم الخولاني مشى على الماء لمجاهدة الأعداء"[6]، واستمطر به معاوية فمطروا وبعدها طلب الموت من الله فكان له ما طلب. والناس أمام أخبار الكرامات أصناف، فما كان وارداً عن الصحابة على شروط الخبر الصحيح صدقه المسلمون بالطبع واستشهدوا لرأيهم هذا بالقرآن، والذين أنكروا الكرامات بإطلاق أوَّلوا آيات القرآن وشكُّوا في الخبر.

أما عن أخبار الكرامات التي أصبحت تدوي كثيراً بين المتصوفة عن أوليائهم، فمن الناس من يصدق بكل ما سمعته أذناه والغالب على هؤلاء السذاجة والتعصب في الولاء ومنهم وأعني الذين أرادوا التوفيق بين القرآن والأخبار عن الصحابة من جهة وبين ما يسمعونه من تهاويل من جهة أخرى قالوا كما روى اليافعي بأن لله تعالى أولياء لهم

[1] - ص٢٩٦، ٢٩٩ نفسه
[2] - ص٣٠٢ نفسه
[3] - ص٣٠٢ نفسه
[4] - ص٣٠٧ نفسه
[5] - ص٤١٤ نفسه
[6] - ص٤٥٨ نفسه

كرامات"[1]، لكننا لا نصدق بكل خبر نسمعه عن رجال هذا الزمان المشكوك في أغراضهم أو بهذه الكرامات التي لا سند موضوعي لها.

والملاحظ حتى الآن أن أخبار الكرامات عن الصحابة لم تكن بتلك الغزارة التي نقرأها عن أولياء التصوف والصوفي عبد القادر عيسى مثلاً لم يستطع جمع أكثر من أربعة عشر كرامة لعصر الصحابة كله"[2] وهو الحريص على المزيد والمزيد، أما أهل التصوف فقد اختلف الأمر معهم حتى انطلقت روايات الكرامات إلى الأوج "فمنذ أواسط القرن السابع للهجرة بدأت المبالغة في رواية الكرامات"[3]، "وهذه المبالغات في ادعاء الكرامات وروايتها لا تدل على حالة طبيعية في الراوين على الأخص ولا في المتظاهرين بها، إنها بلا ريب حالة مرضية- كثرت في القرنين التاسع والعاشر للهجرة"[4] حتى ضاع صدق الخبر وازدادت الجرأة على المزاعم واختلط الحابل بالنابل.

والملاحظ أيضاً أن كرامات الصحابة لم تكن مرتبطة بمنهج حزبي خاص ذو طبيعة مميزة في تحصيلها، وإنما كانت إكراماً إلهياً للمجاهد بالسيف وللذاكر ربه وللفقيه والمحدِّث وللغني والفقير على السواء، بينما

---

[1] - ص٤٤٩ حقائق عن التصوف
[2] - ص٤٥٤ ــ ٤٥٩ حقائق عن التصوف
[3] - ص٨٦ التصوف في الإسلام
[4] - ص٨٧ نفسه

نراها وقد أصبحت مقرونة على شروط التصوف بالرياضات والطريقة والفقر والخلوة وإلى ما هنالك من أصول لا غنى لهم عنها.

ولما أدرك أهل التصوف ما تعنيه روايات اشتراك من ليس منهم كالفقهاء والمفسرين مثلاً بالكرامة قالوا: أن الكرامة أنواع: حسية ومعنوية أو معرفية عقائدية "أما الكرامة الحسية – كما يقول ابن عجيبة – فلا يطلبونها – أي المتصوفة – ولا يلتفتون إليها إذ قد تظهر على يد من لم تكمل استقامته، بل قد تظهر على يد من لا استقامة له أصلاً. والحاصل إن أهل الاستقامة الظاهرية كرامتهم ظاهرية محسوسة أو حسية وأهل الاستقامة الباطنية كرامتهم باطنية معنوية"[١] أو معرفية عقائدية. وشتان مثلاً بين من له المشي على الماء وبين الذي يسعى لتكون معرفته وإرادته هي معرفة وإرادة الله نفسها، وهل الفرق عندها إلا كالفرق بين المريد والواصل أو بين الفقيه والصوفي أو كالفرق بين الظاهر والباطن؟!

فالكرامة الحسية إذن للعوام للفقهاء وربما للعصاة من الفقهاء والسحرة والمحدثين والرهبان، والكرامة المعنوية أو المعرفية للأولياء لا إلى سواهم ومن كانت له الكرامة الحسية فهو "كمن أُكرم بشهود الملك. فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع المرضى"[٢]، وهي بهذا كأنها الحجاب أو قل أنها البشائر في بداية الطريق فادفع عنك الأغيار أيها

---

[١] - ص٧٣ ج٢ إيقاظ الهمم
[٢] - ص٧٣ نفسه

السالك وافرد القصد إلى الله، ولقد قال الخواص: أن "أسنى ما أكرم الله تعالى به هو العلم خاصة فهو الكرامة التي لا يعادلها كرامة"[١]، ولقد كان أبا يزيد البسطامي يقول: "إن أعطاك الله مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فاطلب ما وراء ذلك فإن عنده فوق ذلك أضعافاً مضاعفة، فإن سكنت إلى ذلك حجبك به – أي بالمعجزات – وهذا بلاء"[٢]، وقال الششتري: الكرامة الحسية من الأغيار

"فلا تلتفت في السير غيرا وكل ما سوى الله فاتخذ ذكره حصنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى ولا طرقة تجنى"[٣]

وبالوصول إلى الذات الإلهية أو الاتحاد بها تكون القطبية ويكون الاتحاد بالإرادة والعلم الإلهي وبذلك يكون التمييز في الكرامات بين أهل الباطن وأهل الظاهر.

خوارق المتصوفة المذكورة لديهم تحريراً وشفاهاً لا تحصى وإنكار ما ذكروه من الكرامات يعد برأيهم من الكفر، وعن إنكار مصافحة الرفاعي للرسول ﷺ في قبره مثلاً يقول "الأبيوري رحمه الله تعالى:

[١] - ص١٠٥ ج٢ م٥٠ نفسه
[٢] - ص٣٥٧ ج٤ إحياء علوم الدين
[٣] - ص٥٣ ج١ إيقاظ الهمم

وإنكار هذه الكرامة كفر"[1]. وليس هذا فحسب بل إن الرفاعي نفسه ينصحنا بتصديق كل خبر أو رواية كرامات أولياء التصوف قائلاً: "إذا قال لك أحد أنا صعدت إلى السماء أو أنا أصعد إلى السماء فصدِّقه ولا تنكر عليه ولا تكذبه. فإنه إن كان كاذباً فكذبه عليه ولا يضرك منه شيء، وإن كان صادقاً وكذبته وأنكرت عليه فالضرر حاصل لك أنت"[2]. فليس في وسع الإنسان إذن وفق هذا المعيار السلبي إلا تصديق كل ما تسمعه الأذن عن هذه الكرامات أو الخوارق التي لا حد لها، ولكن هل يعي الرفاعي خطورة ما يقوله على استخدام العقل الذي به نميز بين الصدق والكذب؟! ولعله يقصد تجريدنا من العقل كشرط لتصديق أمثال هذه الترهات!

ـ ملاحظة:

الكرامة الصوفية تتسم كما نرى بما يلي:

١ – الكرامات الصوفية ناتجة عن منهج خاص في الرياضات، ومن قام بالرياضات كانت الخوارق له.

٢ – الكرامات الصوفية غير شاملة، فليس لها أن تضم تحت كنفها مثلاً الأغنياء والمجاهدون بالسيف ولا علماء الطبيعة والدين أو الفقهاء إلا إن تريضوا.

---

[1] - ص١٠٤ قلادة الجواهر

[2] - ص١٥٦ نفسه

٣ – المعرفة الناتجة عن الوصول إلى الله أو إلى ذاته تعالى هي القمة في كرامات الصوفي.

٤ – الكرامات الصوفية غزيرة إلى حد أنه لا مقارنة بين كرامات ولي واحد من أهل التصوف بعصر الصحابة كله.

٥ – الصوفي يطالب الخلق بعدم إنكار كراماته مهما تكن، ومن أنكرها فهو كافر ملعون.

٦ – الكرامات ذات ظاهر وباطن، الحسية لأهل الظاهر والمعرفية لأهل التصوف أهل الباطن مع ملاحظة أن المعرفة عند القوم تعني في نهاية الأمر مجموع الأسرار المعبرة عن عقائدهم الخاصة التي قمتها التوحيد البديل عن توحيد لا إله إلا الله.

ـ كرامات الطفولة عند الصوفي:

كرامات أولياء التصوف لا حد لها فهي ترافق الولي في حياته وقبل ولادته وبعد موته، "فالكرامة واقعة للأولياء في الحياة وبعد الممات"[١] وفي الطفولة، ولما ولدت رابعة العدوية مثلاً رأى أبوها الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له: "هذه البنت التي ولدت هي سيدة، إن سبعين ألفاً من أمتي ليرجون شفاعتها"[٢]، وابن عربي يقول: "وقد نطق في المهد جماعة أعني في حال الرضاعة، وقد رأينا أعظم من هذا، رأينا من تكلم في بطن أمه وأدى واجباً وذلك أن أمه عطست وهي حامل به فحمدت الله فقال لها من بطنها يرحمك الله. وابنتي زينب سألتها كالمداعب لها وهي في سن الرضاعة وكان عمرها في ذلك سنة أو قريباً منها."[٣] عن مسألة فقهية فأجابتني عما سألتها عنه، والشيخ ابراهيم الدسوقي يقوم بالفرائض قبل سن التكليف، فقد صام في المهد"[٤]، "وصومه في المهد رضي الله عنه"[٥] معروف ومشهور وهو القائل: لقد "أشهدني الله تعالى ما في العلى وأنا ابن ست سنين، ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين، وفكيت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين، ورأيت في السبع المثاني حرفاً معجماً حار فيه الجن والإنس ففهمته وأنا

---

[١] ـ ص١٥ ج١ الإبريز
[٢] ـ ص١٤٧ رابعة العدوية
[٣] ـ ص١١٧ ج٤ بـ٤٨٠ الفتوحات المكية
[٤] ـ ص١٨٨ العقلية الصوفية والكرامة والحلم
[٥] ـ ص١٦٦ ج١ الطبقات الكبرى

ابن أربع عشرة سنة"[1]، والشيخ أبو السعود أبي العشائر هو الآخر "صام في المهد رضي الله تعالى عنه"[2]، وروى الجنيد أنه "كان بدء أبي يزيد وتوبته من رحم أمه وصلب أبيه أنه كان صبياً ابن أقل من عشرة إذ نبهه الله تبارك وتعالى لأمره وألهمه حكمة العمل فائدة من عنده من غير تعليم"[3]. فقد كان أبا يزيد يأمر بالحلال ويمنع عن الحرام وهو جنين في بطن أمه، فهو الذي "منع أمه وهي حامل به عن تناول الحرام"[4]، ومن كرامات الشيخ عبد القادر الجيلاني "أنه كان حين رضاعه لا يرضع في رمضان، فكان الناس إذا شكُّوا في الهلال رجعوا إليه"[5]، ولما "غم على الناس هلال رمضان – تقول أمه – فأتوني وسألوني عنه، فقلت لهم: إنه لم يلتقم اليوم له ثدياً، ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان"[6]، أما والدة الشيخ أحمد الرفاعي فقد "بشَّرها رسول الله ﷺ على لسان أخيها بولدها السيد أحمد- وقد كلمها ولدها رضي الله عنه في مهده وسمعته يسبح الله كثيراً- ولما جاء رمضان أمسك عن شرب الحليب نهاراً إلى العيد"[7]، والشيخ أبو الوفا قرأ على جبهة والد الشيخ أحمد الرفاعي "فإذا عليها مكتوب: ذاع الشيخ الكبير السيد أحمد الرفاعي- وقالوا له ومن يكون

---

[1] - ص١٨٨ العقلية الصوفية ونفسية التصوف
[2] - ص١٦٢ ج١ الطبقات الكبرى، ص٤١٠ – ٤١١ قلادة الجواهر
[3] - ص١٣٩ – ١٤٠ النور من كلمات أبي طيفور
[4] - ص٢١٢ مرآة الزمان
[5] - ص٥ الفتح الرباني
[6] - ص٣ الغنية
[7] - ص٢٥ قلادة الجواهر

الشيخ الكبير السيد أحمد الرفاعي؟ فقال لهم: هو رجل عظيم المنزلة عند الله فإذا هو ظهر غلق أبواب جميع المشايخ والصالحين. وقد شهد له أكابر رجال البطايح وهو صغير بالولاية الكبرى وأكثروا الثناء عليه"[١]، حتى أنه عند ولادته صاح أحمد بن خميس: "الآن حصحص الحق وبان الصدق قد وُلد في هذه الساعة في أم عبيدة. ولد عزيز على ربه. وهو صاحب الوقت والزمان والدولة. إذا حضرتم عنده وسلمتم عليه سلموا لي عليه فإنه يرد عليكم السلام بيده ولسانه"[٢]، والشيخ منصور البطايحي "نودي من العلا: أبي منصور تأدب! هذا السيد أحمد حبيبنا نظهره على غوامض غيوبنا"[٣]، والشيخ مروان يقول أيضاً: "رأيت في هذه الساعة سيف الولاية قد نزل من السماء"[٤]، والرفاعي نفسه يقول عن نفسه: "اعلم أني لما دُعيت إلى هذا الأمر حملت إلى قبلة هذا البلد – أي بلدته – وشق صدره ملك من الملائكة المقربين فأخرج منه شيئاً مظلماً وغسله بماء الحيوان من الرياء وسوء الخلق وكل ما كان للشيطان فيه نصيب، كل ذلك وأنا أنظر بعيني كما فعل برسول الله ﷺ"[٥]. ولكن هب أنني صدقت بهذه الأخبار دونما فضول إلى ربطها بالوقائع التي لها البرهان على صدق أو كذب هذه الروايات، فما هو المطلوب مني بالضبط لتحقيق

---

[١] - ص٧٢ نفسه
[٢] - ص٢٩ – ٣٠ نفسه
[٣] - ص٣٣ نفسه
[٤] - ص٣٥ نفسه
[٥] - ص١٤١ قلادة الجواهر

أغراض الرواة؟ المطلوب بدقة هو الانتصار لأولياء التصوف على الفقهاء أولئك الذين كانوا يلاحقونهم بميزان الشريعة والتكاليف فهذه الكرامات بالفعل تسعى لرفع الصوفي عالياً فوق النقد أو فوق المعايير وعندها لا صحة لاتهامه بإسقاط التكاليف وها هو كما تقول الكرامة قائم بها وهو في بطن أمه ومنذ صغره، وهل لأحد أن يشك بمن كان كالأنبياء في العصمة والحفظ؟! لا، لا، فالشك إذن غير معقول وغير جائز حتماً! ولكن إن صح هذا المنطق فعندها سترى أن الكرامات ستزداد طرداً في سيرة هذا الولي أو ذلك مع ازدياد وكثرة الشكوك التي تحوم حول بُعد هذا الولي أو ذاك عن التشريع أو التكاليف.

- ملاحظة: كرامات الطفولة إذن وكما هو ملحوظ تسعى لما يلي:

١ – لتأكيد ارتباط الصوفي بالشرع الإسلامي.

٢ – لمساواة كرامات الأولياء بمعجزات الأنبياء.

٣ – لمساواة الولاية والنبوة بالاصطفاء.

وبالطبع فإن الله سبحانه وتعالى وفق منطق الكرامة هذا هو الذي يقرر هذه الأمور!!

ـ ملاحظة حول أسس الكرامة الصوفية:

أما عن الأسس البنيوية أو المبادئ التي تقوم عليها حياكة الكرامات الصوفية فهي كما يلي:

١ – إيمان الجميع بأن الله سبحانه وتعالى قادراً على كل شيء، ولا اعتراض على قدرته.

٢ – التسليم بتساوي الأنبياء والأولياء في المعجزات أو بتفوق الولي على نبي من الأنبياء بمصطلح وراثة الولي لكل الأنبياء.

٣ – الاعتماد على نموذج نبوي لصياغة الكرامة على نفس القالب كشق الصدر وإحياء الموتى وإلى ما هنالك.

٤ – الافتراض سلفاً بوجود أناس في كل بيئة اجتماعية يطربون للغرائب من الأمور، ومن ثم الاعتماد على الأنصار والمريدين في ترويج الكرامات وروايتها.

٥ – التأكيد على ارتفاع الكرامات وسموها فوق المعايير والأحكام سواء إن كانت دينية أو عقلية.

٦ – الكرامة ذات منطق يسعى لأغراض برهانية محددة.

٧ – الكرامة بطبيعتها غير خاضعة لسند الإثبات الموضوعي والمهم هو التسليم بأنها ممكنة الحدوث.

- النسب الديني للكرامة:

إن للكرامة الصوفية وجوهاً وأغراضاً كثيرة، ووجوهها تتعدد بتعدد الأغراض المطلوبة منها، والشيخ محمد أبو الهدى الصيادي يقول: إن

استعمال الكرامات يكون في ثلاثة مواطن: الأول لإحياء السنة وقمع البدعة- الثاني: للتخلص من ظلم أو لاستخلاص أحد المسلمين من ظلم- الثالث: لتزييد يقين السالكين وتقوية اعتقادهم"[١]، ومن مهام الكرامة أيضاً الدفاع أو تأكيد صدق الأخبار الواردة عن معجزات الأنبياء أو لنقل الخبر الماضي إلى الواقع العياني المعاصر، وبذلك يكون برأيهم البرهان على صدق الأحداث الماضية "فالكرامة تشرح وتثبت هذا النص الديني أو ذاك- إنها تكرر أفعال هود أو صالح أو موسى- وهكذا تقول لنا الكرامة كيف استطاع موسى تحويل عصاه إلى حية- وإذا كان الصوفي نفسه قادراً على التكلم في المهد مثلاً فمن الحري إذن أن يكون الأمر قد جرى قديماً وأن الآية بالتالي صحيحة"[٢]، وغالباً ما تكون الكرامة نسجاً على منوال "تلك النماذج"[٣] النبوية الواردة في القرآن أو غيره من الكتب المقدسة.

والحقيقة أنه لولا هذا الربط بين المعجزة والكرامة لما كان لأخبار الكرامات الصوفية تلك الأهمية عند الأذن الشعبية "فاحترام الكرامة قائم على ارتباطها الوثيق بالدين"[٤] بل إن المعجزة كما يقول القشيري في رسالته هي السبب في إحداث الكرامة "فهذه الكرامات – كما يقول –

[١] - ص٣١٣ أشرف الوسائل
[٢] - ص٧٩ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[٣] - ص٨٠ نفسه
[٤] - ص٢٣ نفسه

لاحقة بمعجزات نبينا ﷺ. وكل نبي ظهرت كرامة على واحد من أمته فهي معدودة من جملة معجزاته، إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً لم تظهر على يد من تابعه الكرامة"[١]. فالمعجزة إذن تجوز للولي ولكن لا تسمى معجزة وإنما كرامة، وهذا هو كل الفرق.

ـ الكرامات الصوفية والحيوان:

الكرامات التي تتكلم عن علاقة الصوفي بالحيوانات كثيرة، فالشيخ أبو سعيد الخراز كما يقولون كان السبع يقف على كتفه"[٢]، "وكان لسهل بن عبد الله بيتاً كان الناس يسمونه بيت السباع. كانت السباع تجيء إلى

[١] ـ ص٣٩٢ الصلة بين التصوف والتشيع
[٢] ـ ص٨٨ الرسالة القشيرية

سهل وكان يدخلهم هذا البيت ويضيفهم ويطعمهم اللحم ثم يخليهم"[١]، والشيخ محمد الفرغل أخرج "البنت من بطن التمساح الذي ابتلعها"[٢]، ولما أخرج أيضاً ذو النون المصري الغلام من بطن التمساح الذي ابتلعه إلى الحياة تارة أخرى قالت أمه: "اجعلني في حل فإني كنت إذا رأيتك سخرت منك وأنا تائبة إلى الله عز وجل"[٣]، والشيخ أبو مدين يعاقب السبع الذي أكل حمار أحد الفلاحين بأن جعله في خدمة الفلاح عوضاً عن الحمار حتى الممات"[٤]، والشيخ ابراهيم الخواص لا يخاف السبع لأن الملائكة مسخرة لحفظه، فقد قال مرة: "دخلت خربة في بعض الأسفار في طريق مكة فإذا فيها سبع عظيم فخفت، فهتف بي هاتف: اثبت فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك!!"[٥]، وليس هذا فحسب فإن صفاء الصدر كما يقول الرفاعي يعد سبباً من أسباب التآلف بين الإنسان والحيوان "فإذا صفا الصدر أنس الطير"[٦]، وصفاء الصدر "حتى لا يبقى فيه شيء من الخبث لا لعدو ولا لصديق ولا لأحد من خلق الله عز وجل هناك تستأنس الوحوش بك"[٧]، وحدث مرة أن افترس الأسد ثوراً يستخدمه المتصوفة في تدوير الساقية، فندم الأسد على فعلته فجاء إلى الشيخ الرفاعي معتذراً

---

[١] - ص١٦٢ نفسه
[٢] - ص١٠٤ ج٢ الطبقات الكبرى
[٣] - ص٧٠ ج١ الطبقات الصوفية، ص٩٣ ج٣ بـ٣٢٥ الفتوحات المكية
[٤] - ص١٥٦ ج١ الطبقات الكبرى
[٥] - ص١٧٣ الرسالة القشيرية
[٦] - ص٩٠ قلادة الجواهر
[٧] - ص١٤٤ ج١ الطبقات الكبرى

"فلما قرب من الشيخ وقف أمامه وقال: السلام عليك يا ولي الله"[١] فغفر له ذنبه على شرط أن يقوم بالعمل الذي كان يقوم به الثور هو ونسله إلى يوم القيامة "وكل من توجه إلى أم عبيدة فإنه يراه عياناً"[٢] على الساقية! وعندما كان الشيخ أحمد الرفاعي يذهب إلى نزهة في الصحراء، كانت "تخرج الأسماك من بطن بحر البصرة لالتماس بركاته"[٣]، وليس للشيخ أحمد سلطان على السباع والأسماك فحسب بل إن الأفاعي تهابه حتى نُعت "بمرعب الأفاعي"[٤]، وها هو ينشد شعراً من صدره الذي يخلو من الغل والأحقاد على أقرانه المتصوفة من سلاطين أهل الحال ليقول:

"سلاطين أهل الحال أطفال مجلسي ... ويرعب مني السبع في شطحة البر
وطاعت لي الحيات والأسد في الفلا ... وباسمي يلقى زمهرير على الجمر"[٥]

وليس لأعضاء الطريقة الرفاعية إن أرادوا إمساك الحيات إلا قولهم عند أخذها "يا أحمد الرفاعي"[٦]، "فالطائفة الرفاعية- لهم أحوال عجيبة من أكل الحيات- وركوب الأسود"[٧]، أما "حيونة" صاحبة رابعة العدوية

[١] - ص٩٣ قلادة الجواهر
[٢] - ص٩٣ نفسه
[٣] - ص١٠٢ نفسه
[٤] - ص٢٤٤ نفسه
[٥] - ص٢٢٥ نفسه
[٦] - ص٨٠ نفسه
[٧] - ص٦٧ نفسه

فقد اجتمع في حظيرتها الذئاب والغنم على السواء دونما اعتداء أو نفور"[1]، والشيخ منصور البطايحي "مرَّ يوماً بالبطيحة بأسد قد افترس رجلاً وقصم عضده نصفين، فجاء إلى الأسد وأمسك بناصيته وقال: ألم أقل لكم لا تتعرضوا لجيراننا فذلَّ له الأسد، وأفلت الرجل، فقال الشيخ له: مت بإذن الله تعالى فوقع الأسد ميتاً وأخذ الشيخ ما انفصل من عضد الرجل ووضعه مكانه"[2] فعاد سليماً معافى كما كان، والشيخ أبو الطاهر المعيد يقول: "فكنت أجد السباع عن يميني وشمالي ولا يتعدون علينا"[3] والشيخ أحمد بن عطا يكلمه الجمل آمراً: "قل جل الله"[4]، والشيخ "أحمد بن مصقول- كانت له آيات وإشارات من جملتها كلام الثور له وشكواه إليه"[5].

فأين الآبقون المنكرون إذن من الأولياء؟ فالويل الويل لمن تسول له نفسه بالاعتداء على الصوفي وأملاكه، أما رأيتهم كيف جعلوا الأسد مكان الثور والحمار؟ فتريثوا قبل الإنكار عليهم أيها الناس، فربما تحتاجون إلى الصوفي ذات يوم وعندها لا ينفع الندم، أم أنكم لا تخشون التماسيح والسباع المفترسة والثعابين التي قد تقطن في بيوتكم؟ واعلموا أن الإذعان

[1] - ص١١٩ رابعة العدوية
[2] - ص٢٧ قلادة الجواهر
[3] - ص٥٤ سير الأولياء
[4] - ص١٧٥ الرسالة القشيرية
[5] - ص١٩٩ قلادة الجواهر

والطاعة لأولياء التصوف من الواجبات الرئيسية، وكيف لا وها هي الحيوانات تسعى لنيل بركتهم مذعنة مطيعة لكل أوامرهم حتى ولو كان الموت نفسه، فسلم تسلم وإلا هلكت بإنكارك.

فكرامات الصوفي على الحيوان أو معه لا نراها في أقل ما يقال إلا وقد تمحورت بشخصه وأغراضه دون أن تنطلق نحو الأغراض الاجتماعية على الإطلاق، فلو سخَّر الصوفي مثلاً الوحوش لحماية ثغور المسلمين أو للهجوم على أعدائهم لكان لكراماته غرضاً حقيقياً بالفعل، ولو هبَّ بكراماته لمحاربة الحيوانات والحشرات الضارة التي تؤذي المحاصيل الزراعية كالجراد والعصافير مثلاً لكان قد أسدى أعظم المعروف للمجتمع، وما أعظمها من كرامة لو كان له استخدام الحيوانات كحراس يحفظون الأمن في المدن والقرى من كل اللصوص والعابثين. ولكنها كرامات لا غرض لها على ما يبدو إلا بث الرعب في قلوب المنكرين على الصوفي، أو لتكون برهاناً ساطعاً يعمي العيون عن النظر إلى سلوكه وجدوى مزاعمه.

أما الروحيون الذين ابتعدوا عن الغموض والأسرار واستغلال الدين نراهم يفسرون أمثال هذه الأحداث التي لها السيطرة على الحيوان بموهبتي التنويم المغناطيسي والتخاطر، وبموهبة التخييل التي هي من السحر، كما أصبح من المعلوم أن أمثال هذه المواهب يملكها بعض البشر

ومنذ أوائل العصور الإنسانية حتى كانت أخيراً الرياضات المؤدية إلى حيازتها.

ـ الكرامة الصوفية والطعام:

إن للطعام وتأمينه قصة طويلة في حياة الصوفي، وقد رأينا فصولها كاملة في كتابنا "التوكل وفلسفة التسول في التصوف" فالصوفي إجمالاً كسول لا يحب العمل ولن يسع لتأمين قوته وقوت أطفاله وزوجه بحجة إفراد القصد إلى الله، وإنها لقصة دامية محزنة.

ولما كان التسول، ولما كان استغلال المريدين، ولما كان انتظار الفتوح من أهل الإحسان، ولما كانت خدمته للقبور والموتى، ولما كان

ذلك كله مؤدياً إلى إحساس الصوفي بالذل والمهانة والدونية، لم يجد أمامه إنقاذاً لماء وجهه إلا الكرامة والخوارق التي تقول على لسانه: اعلموا أنه على الرغم من أن التسول ذل ومهانة فقد اتخذته تأديباً للنفس وقهرها، وها هي نقود القدرة مثلاً وأطعمة الغيب تأتيني متى شئت وهي قادرة على كفايتي، فلست عن حاجة أتسول، ولست بحاجة إلى دراهمكم وطعامكم، ولست بحاجة لاستغلال المريد إلا تأديباً له وامتحاناً لباطنه ولست خادماً للقبور من أجل العيش واللقمة بل من أجل كرامات الموتى التي تنفع كل ذي بلاء من المرضى والمجانين! وهكذا يكون المسكين قد رمم نفسه المريضة ليصبح برأي نفسه أعظم شأنا من العوام والجهلة الذين يحسنون إليه.

فالشيخ أبو الطاهر المعيد مثلاً يقول: "فجعت مرة فخرجت لي يد من شجر الغابة برغيف فأكلته ومشيت"[1]، بل إن مَلَك الأرزاق كما يروي ابن عربي يأتي بالخبز لأحد المتصوفة كلما احتاج إليه وأينما كان"[2]، أما الشيخ ذو النون المصري فقد أمر الشجرة لتحمل بالثمار فحملت بعد أن لم يكن بها شيء"[3]، والشيخ محمد الفرغل "دخل عليه بعض الرهبان فاشتهى عليه بطيخاً أصفر في غير أوانه فأتاه به وقال: وعزة ربي لم أجده إلا

---

[1] - ص٥٤ سير الأولياء
[2] - ص٥٥٠ ج٤ بـ٥٦٠ الفتوحات المكية
[3] - ص١٦٧ الرسالة القشيرية

خلف جبل قاف"[1]. إلا أن جبل قاف هذا المحيط بالأرض المربعة الأركان كالبساط والذي تستند عليه السماء كما يزعم أهل الكشف لم يكن إلا أسطورة لا وجود لها على الواقع العلمي!

وعندما تمنى أصحاب إبراهيم بن أدهم اللحم المشوي إذ بأسد يطرد أيلاً ليسقط أمامهم فأكلوه والأسد ينظر إليهم"[2]، ولما كان الخواص في البادية إذ أتاه أسد فجلس بين يديه واضعاً يده عليه فرآها شيخنا متقيحة فأصلح له أمرها وبعد ساعة جاءه الأسد برغيف من الخبز ليأكله"[3]، والشيخ أبو بكر الهمداني يشتهي هو الآخر وهو في البادية بقلاً وخبزاً حاراً فما أتم خاطره هذا حتى جاءه الخضر بكل ما اشتهاه"[4]، ولما اشتهى أبو علي الرازي السمك قفزت إليه سمكة من الفرات "وإذا برجل يعدو ويقول: أشويها لك؟ فقلت: نعم. فشواها فقعدت وأكلتها"[5]، وذات مرة كان الشيخ أحمد الرفاعي وأصحابه يجلسون على الشط فتمنى أصحابه أكل السمك "فامتلأ الشط سمكاً من أنواع شتى ووثب منها شيء كثير إلى البر"[6]، وبعد أن طبخوا السمك وأكلوه قام الرفاعي فأحياها جميعاً ومن ثم عادت إلى البحر مرة ثانية، ومرة أخرى أتاه وتد المشرق بالإوز المشوي

[1] - ص١٠٤ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] - ص١٧١ الرسالة القشيرية
[3] - ص١٧٢ نفسه
[4] - ص١٧٥ نفسه
[5] - ص١٦٨ نفسه
[6] - ص٧٣ قلادة الجواهر

من السماء "فمد الشيخ – أحمد الرفاعي – يده إلى حجرين بجانبه وضعهما بين يديه رغيفين يصعد فوارهما من أحسن خبز الدنيا منظراً، ثم مد يده إلى الهواء فإذا فيها كوز أحمر فيه ماء فأكل الرجل الإوزة وما بقي منها سوى عظامها. فقام الشيخ وأخذ تلك العظام ووضعها على يده وأمرَّ يمينه عليها وقال: أيتها العظام المتفرقة الأوصال المنقطعة اذهبي بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. فذهبت وزة سوية وطارت في الجو"[1]، أما الشيخ محمد عنان فقد "أطعم نحو خمسمائة نفس من ستة أقداح دقيق حتى شبعوا"[2]، والشيخ علي المليجي هو الآخر أطعم عساكر السلطان من طعام قليل من ركوة حتى كفاهم جميعاً ثم قال بشموخ: "وعزة ربي أقدر بفضل الله أغرف منها للناس إلى يوم القيامة"[3]، والرفاعي وضع يده في غلة أحدهم ثم أمره قائلاً: "أي علي لا تترك أحداً يصعد إلى الغلة ويأخذ منها إلى زوجك"[4]، ودامت الغلة سنوات وهم يستهلكون منها دونما نقص على الإطلاق! وابن عربي يحدثنا عن واحد من مقامات الصوفي قائلاً: "ومن كرامات هذا المقام أن ينقلب اللون الواحد الذي في الصحن ألواناً من الطعام في حاسة الأكل إن اشتهاه بعض الحاضرين"[5]، وعندما انتهى الرفاعي من إلقاء دروسه على المريدين ذات مرة قال: أي سادة تعالوا

---

[1] - ص٧٣ نفسه
[2] - ص١١٧ ج٢ الطبقات الكبرى
[3] - ص٤١٢ قلادة الجواهر
[4] - ص٧٨ نفسه
[5] - ص١٠٧ مواقع النجوم

إلى الطلب كل يطلب ما يريد- وكل حصل له مطلوبه"[1] من الطعام الذي اشتهاه، ولما جاء أحد المتصوفة ليودع الشيخ أبو محمد ماجد الكردي "وهو يريد الحج على قدم التجريد والوحدة ولا يستصحب زاداً ولا أحداً، أخرج له الشيخ ماجد ركوته وأعطاها له وقال: إنك تجد فيها ماء إن أردت الوضوء ولبناً إن عطشت وسويقاً إن جعت"[2]. وربما أن قصة الحصول على المذاق المتعدد تعود بأصولها والله أعلم إلى سطل التسول الذي يحوي بداخله الأطعمة المتعددة المذاق، فبهذه الكرامة يكون زوال التعجب من عدم استساغة الطعام المختلط الذي اعتاد عليه الصوفي. ولما كان النهم والشراهة من بعض سمات مشايخ التصوف خاصة إن حضروا الولائم نراهم يقولون: إن من كرامات الولي الأكل عن الصاحب الغائب وليس ما يأكله عندها له وحده لأنه ذاهب أيضاً أو بعضه إلى بطون المشايخ الغائبين، وتلك كرامة! فالشيخ أبو محمد الموزوري يأكل عن أحدهم فيصله طعامه إلى بطنه كاملاً غير منقوص"[3]، والشيخ شمس الدين الحنفي "كان إذا تذكر أحداً من أصحابه الغائبين عن السماط يأكل الشيخ عنه لقمة أو لقمتين فتنزل في بطونهم في أي مكان كانوا ثم يجيئون

[1] - ص٩٥ قلادة الجواهر
[2] - ص١٤٩ ج١ الطبقات الكبرى
[3] - ص٦٥ روح القدس في محاسبة النفس

ويعترفون بذلك"[1]. وربما أن هذا التبرير ليس كما نراه إلا من باب "ردوا على الزاد ردة ثانية"!

ـ الكرامات الصوفية والماء:

ولا بد للكرامة الصوفية أن تشمل إيجاد الماء وتكثيره مضاهأة للمعجزات أو اقتداء بالنموذج النبوي، ولما كان الخواص وصاحبه في البادية عطش صاحبه ففجر له من الأرض ينبوع ماء صاف كاللبن الحليب"[2]، ولما عطش سيدي محمد وفا أمر النيل بالارتفاع "فطلع ذلك اليوم

[1] ـ ص٩٦ ــ ٩٧ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] ـ ص١٧١ الرسالة القشيرية

سبعة عشر ذراعاً"[1]، أما الرفاعي الذي قهر نفسه بمنعها شرب الماء لسنة كاملة"[2] كان مرة في قافلة افتقرت إلى الماء "فضرب بعصاه الأرض فنبع ماء غلظ الإصبع من محل ضرب العصى فشربت القافلة والدواب"[3]، والشيخ أبو الحسن علي "كثَّر ماء الدجلة"[4].

ـ الكرامات الصوفية والأموال:

أما كرامات الصوفي مع الذهب والأموال فكأنها تجسد لنا أحلام الرجل أو ما يراه من حلول ملائمة للمشاكل الاقتصادية التي ألمت به، فالشيخ موسى السودراني يأتي بالذهب من جبل ق"[5]، وعندما فكر الشيخ علي ابن الموفق في فقره وفي تأمين قوت عياله يقول: "فرأيت في المنام

[1] ـ ص٢١ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] ـ ص٥٤ قلادة الجواهر
[3] ـ ص٣٤٠ نفسه
[4] ـ ص٣٤٩ نفسه
[5] ـ ص٦٨٣ ج٢ بـ٢٩٧ الفتوحات المكية

رقعة فيها مكتوب باسم الله الرحمن الرحيم، يا ابن الموفق أتخشى الفقر وأنا ربك؟ فلما كان وقت الغلس أتاني رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال: خذها إليك يا ضعيف اليقين"[١]، ثم انطلق بعدها إلى السياحة غير آبه بمصير أطفاله! والشيخ حسين أبو علي "كان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة"[٢]، أما الشيخ محمد الفرغل فقد "قال لرجل: زوجني ابنتك. فقال: مهرها غال عليك. فقال: كم تريد؟ فقال: أربعمائة دينار. فقال: اذهب إلى الساقية وقل لها قال لكِ الفرغل املئي قادوس ذهب وقادوس فضة فملأت له قادوسين"[٣]، وأبو علي السدي كان يأتي بالجواهر من الوادي"[٤]، أما الشيخ القرشي فكان يجد ما يلزمه من ذهب وفضة تحت سجادته، فقد "خلا أبو يوسف ليلة مع القرشي وأنا معاهما فقال أبو يوسف للقرشي: من أين تنفق؟ فقال له: من تحت السجادة، إن طلبت ذهباً وجدته أو فضة وجدتها"[٥]، والشاذلي "رضي الله عنه ينفق نفقة الملوك من كيس صغير في عمامته"[٦] دون أن ينقص عن حاجته قط ومهما أخذ منه، والشيخ عبد الحليم التقى ذات مرة برجل صوفي من الذين ينفقون دراهم الغيب، ولما استغرب الأمر قال له الرجل: يا عبد

---

١ - ص١٨٠ الرسالة القشيرية
٢ - ص٨٧ ج٢ الطبقات الكبرى
٣ - ص١٠٥ ج٢ الطبقات الكبرى
٤ - ص١٦٤ الرسالة القشيرية
٥ - ص٣٠ سير الأولياء
٦ - ص١١٧ ج٢ الطبقات الكبرى

الحليم اشتغل بالله تعالى حتى تصير الدنيا في طوعك هكذا. فانقطع الشيخ في الخلوة تسعة شهور يقرأ في الليل ختماً وفي النهار ختماً ثم خرج ينفق من الغيب إلى أن مات"[١]، وكان الشيخ سهل بن عبد الله التستري إذا توضأ تسيل المياه من أصابعه قضبان ذهب وفضة وكان يعتبر ذلك "خشخاشة"[٢] صبيان، والحلاج "كان يمد يده إلى الهواء ويطرح الذهب في أيدي الناس، ويمخرق وقد قال له بعض الحاضرين يوماً: هذه الدراهم معروفة، ولكن أؤمن بك إذا أعطيتني درهماً عليه اسمك واسم أبيك"[٣]. وهذا يعني أن الرجل اتهمه بالتعامل مع الجن أو "الأشباع والعفاريت"[٤] الذين يأتونه بهذه الدراهم المعروفة، ولو لم تكن مسروقة من قبلهم أو لو كانت من الله لكان أتاهم بدراهم كما طلب الذي شك به. ولما اعترض السلطان أيضاً على الشيخ يوسف العجمي واتهمه بالإفساد. قال الشيخ: إنما أنا أصلحهم. فنزل إليه السلطان فأخرج إليه الشيخ مملوكاً منهم وقال له: قل للأسطوانة: كوني ذهباً. فقال لها ذلك. فصارت ذهباً يراه السلطان بعينه فاستغفر وقبَّل رِجل الشيخ"[٥]، وبحضور الجنيد أمر أحد المتصوفة الاسطوانة فأصبح نصفها ذهباً ونصفها الآخر فضة"[٦]، والشيخ سهل كان

---

[١] - ص١٣٤ ج٢ نفسه
[٢] - ص١٦٤ الرسالة القشيرية
[٣] - ص٣٨٦ تلبيس إبليس
[٤] - ص٢٦ الإنسان والسحر
[٥] - ص٦٦ ج٢ الطبقات الكبرى
[٦] - ص١٦٨ الرسالة القشيرية

يقلب النحاس ذهباً بما لديه من إكسير"[1]، أما الشيخ أبو بكر الدقدوسي فكانت تنقلب له الأعيان هو الآخر، فكان يقلب لمدينه الحصا دنانير"[2]. ولكن إياك أيها المنكر من التساؤل عن فقرهم الذي هم فيه وعن عدم نفع أموالهم في المرافق العامة على الأقل، لأن القوم كما يقولون أصحاب عفة وأوامر إلهية، فالشيخ أبو الحسن السكندري مثلاً "نزل رضي الله عنه مرة كنزاً فوجد فيه سبعة أرادب ذهباً فأخذ منها سبعة دنانير وقال: لم يؤذن لي في أخذ شيء غير ذلك"[3]، والشيخ "بنان" قذف بالذهب الذي وجده على الأرض سعياً وراء حقيقة الصدق"[4]. وربما أن القوم لا يحتاجون إلى الأموال فقد حدث مرة أن آدم بن إلياس أراد مساعدة أحد المتصوفة بالدراهم فرفض أن يأخذ منه شيئاً "وألقى كفاً من الرمل في ركوته واستقى من ماء البحر وقال: كله، فنظرت فإذا هو سويق بسكر كثير. فقال: من كان معه مثل هذا يحتاج إلى دراهمك؟!"[5].

وهل هنالك ما هو أعظم من هذه الكرامات التي تؤمن سبل العيش من الدراهم والذهب والأطعمة؟! وإنه لإغراء عظيم لاجتلاب المريدين إلى التصوف بلسان يقول: اعلم أيها المريد السالك نحو المشيخة أن ذلك

---

[1] - ص١٦٤ نفسه
[2] - ص١٠٥ ج٢ الطبقات الكبرى
[3] - ص١٦١ ج١ نفسه
[4] - ص٣٦٢ تلبيس إبليس
[5] - ص١٦٦ الرسالة القشيرية

كله سيكون لك ولكن فيما بعد وفيما بعد سيكون الطعام والذهب والدراهم بين يديك وسوف تقبل السلاطين قدميك. فليس لك لملك ذلك كله إلا التصوف طريقاً تسلكه وإلا فما المعنى من كل هذه الكرامات التي تخلو من أي مضمون ديني أو عقائدي وهل لها كما رأينا إلا خدمة أغراض الصوفي في عطشه وجوعه وفقره أو قل في أمراضه النفسية التي هب مدافعاً عنها بكل قوته ليقول في نهاية الأمر: أنا كالرسول، أنا أعظم منكم، أعظم من كل المشايخ، أعظم من السلاطين، أعظم من الأغنياء، أنا الغني عنكم، أنا فوق النقد، أنا صاحب الأسرار، أنا الذي جمعت التناقض بين جنبين. فدعوني وشأني ومن أراد أن يكون مثلي جاهاً وسلطاناً فليسلك طريقتي.

ـ الكرامات الصوفية والشفاء من الأمراض:

الأمراض والجراثيم كما يقول رواة المتصوفة لم تنج هي الأخرى من كرامات الصوفي، فحيثما حضر الصوفي فلا أمراض، فالشيخ محمد عنان "كان رضي الله عنه إذا حضر عند مريض قد أشرف على الموت من شدة الضعف يحمل عنه "المرض" فيقوم المريض وينام الشيخ رضي

الله عنه مريضاً ما شاء الله"[١]، والشيخ عبد السلام "ما عاد قط مريضاً إلا شفاه الله تعالى"[٢]، وكذلك كانت زيارة الشيخ شمس الدين بن علي الصيادي للمرضى تؤدي إلى شفائهم حتماً وعلى الفور"[٣] والرفاعي "لمس بيده المباركة فاطمة العرجاء فعادت سليمة بإذن الله"[٤] "وقد تسلسل هذا السر المحمدي الأحمدي في بنيه ونوابه وأتباعه إلى زمننا. فكم جريح شُقَّ بطنه، ولديغ كاد أن يفت كبده، وذي عاهة اشتعل جلده تفلوا عليه فعافاه الله تعالى وكأن لم يكن به ألم"[٥]. ففي لعابهم الكفاية عن استخدام الأدوية والجراحين والمشافي ومهما يكن ذلك المرض ففيه الشفاء الأكيد حتى في زماننا هذا الذي لا خلو فيه للرفاعيين الذين لم ينضب لعابهم بعد! والشيخ علي المليجي عندما وقعت يد أحد البنائين إثر حادث وقع لها "أخذها سيدي علي وبصق عليها ولصقها فالتصقت"[٦]، والشيخ ابراهيم الأعزب ينقل الجرب عن المريض إلى واحد من مريديه ثم ينقله عن المريد إلى الخنزير وهكذا برئ المريض!!"[٧]. وربما أن الرواة معذورون على الأقل لجهل زمانهم بالجراثيم أو بجهلهم لعلة الجرب، أما الشيخ حسن وادي أفندي فكان مختصاً بالشفاء من السموم،

[١] - ص١٢٠ ج٢ الطبقات الكبرى
[٢] - ص٣٥٣ قلادة الجواهر
[٣] - ص٣٥٦ نفسه
[٤] - ص١٠٢، ١٤١ أشرف الوسائل
[٥] - ص١٤٢ نفسه
[٦] - ص٢٠٢ ج١ الطبقات الكبرى
[٧] - ص٣٣٥ قلادة الجواهر

فإذا قرأ على السكر فالسكر عندها يبطل ما يفعله سم الأفاعي ويبطل عضة الكلب العقور وليس هذا فحسب بل بإمكانه شفاء الغائب بهذه الطريقة فإذا "تعذر حمل المسموم إليه وجاء رسول المسموم وسمى نفسه باسم المسموم فإن الشيخ يقرأ على قطعة من السكر أو غيرها من المأكولات ويطعمها الرسول الذي سمى نفسه باسمه ويضربه بيده ضربة خفيفة فإن المسموم بإذن الله يبرء من البلدة الأخرى!!"[١]، والشيخ أحمد البدوي ينجي من الأفاعي فقد "مرَّ به مرة رجل يحمل قربة لبن فأشار الشيخ بإصبعه إلى القربة فانقدَّت فانسكب اللبن وخرجت منه حية عظيمة ميتة قد انتفخت"[٢].

المتصوفة أيضاً يشعرون بآلام المرض الذي عند بعضهم تماماً كما يشعر به المريض نفسه، فالشيخ سهل مثلاً يضع ضمادة لقدمه في نفس الوقت الذي كان ذي النون وضع ضمادة لقدمه التي تؤلمه"[٣]، والشيخ شمس الدين الحنفي يكفي ذكر اسمه من قبل المريض حتى يضمن له الشفاء العاجل، فقد خاطب مريضة ذات مرة قائلاً: "قولي يا سيدي محمد يا حنفي يعافيك الله، فقالت ذلك فأصبحت كأن لم يكن بها مرض"[٤]. ولكن لم لا يأخذ الصوفي أجراً على علاجه للمرضى الذين لهم الاستعداد على

---

[١] - ص٣٨٧ – ٣٨٨ نفسه
[٢] - ص٤٠١ نفسه
[٣] - ص٥٩ من التراث الصوفي
[٤] - ص٩٦ ج٢ الطبقات الكبرى

الدفع بسخاء؟ نعم، نعم، فالصوفي لا يستخدم كراماته عبثاً وبلا ثمن، هذا صحيح، فالشيخ حسين برهان مثلاً أتى به قوم لعلاج ابنتهم المقعدة فقال لهم: "لا أفعل ذلك إلا إذا عُقدت لي"[1] فشفاها الرجل ثم تزوجها بناء على شرطه، أما الدباغ فيهب الأولاد للعاقر ولكن لقاء الكباش، فقد جاءه مرة عاقر يطلب له ولداً "فقال له: أنت أتيت بكبش "في المرة الماضية" ونحن أعطيناك ولداً- أعطيناك فيها رحالاً "أي ولداً سيموت أو يرحل" وفي هذه المرة نعطيك من يقيم عندكم"[2] ولكن بثمن أكبر، فالكبش على ما يبدو ليس بالثمن الكافي لولد لا يموت قريباً، فلكل شيء ثمنه المناسب.

الصوفي يستفيد من إشاعة هذه الكرامات التي تتعلق بالأمراض جاهاً وسلطاناً وأموالاً، ولكنه بالمقابل يزرع الشرك والشك في الدين والنبوة ويزرع الوبال في المجتمع لأنه بالطبع سيعيق تقدم العلم خاصة العلم الطبي بكل أصنافه تحصيلاً للجهل الذي ما زال يفت في عضد المجتمع المسلم حتى جعله في الدرك الأدنى مقارنة بالشعوب الأخرى، إلا أن الجهل هو الرئة الضرورية التي لا غنى عنها للصوفي على الأقل لاستمرار بقائه ووجوده أو لاستمرار الشفاء عن طريق الكرامات أو المشايخ.

---

[1] - ص٣٧٥ قلادة الجواهر

[2] - ص٩١ ج١ الإبريز

ـ الكرامات الصوفية وإحياء الموتى:

الصوفي لا يهتم كثيراً للتمييز بين المعجزة والكرامة إلا من باب المساواة الضمنية بينهما، وهذا ما سوف نراه فيما بعد، وإذا ما تكلم عن الفرق بينهما فسوف يجعله لغوياً يدور حول الاختلاف في الاسم ليكون بالإمكان جريان المعجزات على يديه، فإحياء الموتى مثلاً سيكون له تماماً كالذي جرى للأنبياء "فأما أبو يزيد فقتل نملة بغير قصد فلما علم بها نفخ

فيها فكانت حية بإذن الله"[1]، والحلاج الذي صلبه الفقهاء لكفره يحيي الموتى هو الآخر، فقد رأى مرة عظاماً نخرة فتكلم عليها بالاسم الأعظم- فرد الله عليها الروح"[2]، والشيخ عبد العزيز الدرديني أحيا الفرخة بعد أن ذبحت"[3]، والرفاعي أيضاً أحيا إوزة السماء وأحيا الأسماك بعد أن أُكلت حتى أنه أنشد قائلاً:

"ولو دعوت لميت قام لي ومشى   بإذن ربي يسعى لي على قدم" [4]

والصياد يقول عنه:

كم له من مدد يحيي الرميم

لو ندبناه على ميت عفا   قام بالسر كظبي ربب" [5]

ورابعة العدوية أحيت حمارها عند موته وهو في الطريق إلى الحج، وعندما توفي الشيخ أبو تراب النخشبي في صحراء البصرة وُجد بعد سنين من وفاته واقفاً متجها إلى الكعبة لم تمسسه الوحوش والذئاب"[6].

---

[1] - ص٩٣ ج٣ بـ٣٢٥ الفتوحات المكية
[2] - ص٢٠٠ قلادة الجواهر
[3] - ص٢٠٣ ج١ الطبقات الكبرى
[4] - ص٢٣٧ قلادة الجواهر
[5] - ص١٩٥ التصوف بين الحق والخلق
[6] - ص١٠ من الفكر الصوفي الإيراني

ولكم نتمنى أخيرا ومن باب الملاحظة لو اتجه الصوفي بإحيائه للموتى لا إلى الحمير والإوز والفراخ والنمل وإلى ما هنالك من سخافات وإنما وإنما! أم أن كراماته غير صالحة إلا للتسلية المضحكة بعيداً عن مصالح المسلمين وشؤونهم.

إنه التخييل، ومع الإحياء للحيوانات يكون تحرره من الصدق الموضوعي الذي لا بد ممكن إن حدث على الإنسان.

ـ الكرامات الصوفية وتغير الأشكال:

لقد كان الرفاعي "يذوب حتى يبقى بقعة ماء"[1]، وبالمقابل "كبرت جثته وامتلأت منه ثيابه ـ امتلأ منه المشرق والمغرب والسهل والجبل. حتى امتلأ منه السموات والأرض وما بينهما ـ ثم امتلأ منه الكون"[2] تماماً كإله ابن عربي! وأحد المشايخ من أهل البطايح سئل عن المحبة "فسكت

[1] ـ ص٦٧ قلادة الجواهر، ص١٤٣ ج١ الطبقات الكبرى
[2] ـ ص٧٥ قلادة الجواهر

ثم ذاب كما يذوب الرصاص. فضموه في القطن ودفنوه"[1]، والشيخ شمس الدين الحنفي "كان يتطور في بعض الأوقات حتى يملأ الخلوة بجميع أركانها ثم يصفر قليلاً قليلاً حتى يعود إلى حالته المعهودة"[2]، والشيخ عبد القادر الجيلاني على ذمة أحد مريديه الذي يقول: "فتضاءل جثته مرة وتعظم أخرى ويرتفع في الهواء إلى أن يغيب عن بصري"[3]، وللحلاج أيضاً باع طويل في التضاؤل والتعاظم حتى ملأ الغرفة لما طلب العسكر اعتقاله، أما الشيخ حسين أبو علي فقد "كان كثير التطورات، تدخل عليه بعض الأوقات تجده جندياً ثم تدخل عليه فتجده سبعاً ثم تدخل فتجده فيلاً ثم تدخل فتجده ضبياً وهكذا"[4]، والشيخ القرشي الدميم الخلقة صاحب البرص والجذام والعمى "دخل إلى المرحاض وخرج وهو شاب جميل الصورة أمرد بثياب حسنة وروائح طيبة فسترت إحداهن وجهها حياء فقال: لا تستري أنا القرشي"[5]، وعندما أراد البرناوي ذو اللون الأسود امتحان الدباغ في ولايته تجسد على هيئة فتاة جميلة تطارده ولما نجح الدباغ بالامتحان "فإذا بها انقلبت ورجعت سيدي عبد الله البرناوي، وقال: فعلت هذا بك وأردت أن اختبرك"[6]، وابن عربي يقول: إن التشكل

[1] - ص٢٨ نفسه
[2] - ص٩٤ ج٢ الطبقات الكبرى
[3] - ص١٢٩ ج١ الطبقات الكبرى
[4] - ص٨٧ ج٢ نفسه
[5] - ص١٥٩ ج١ نفسه
[6] - ص٥٦ ج١ الإبريز

نوعان: "النوع الواحد أن تعطي **قوة تؤثر بها في عين الرائي ما شئت من الصور التي تحب**- وطريقة أخرى- وهي أن الصورة التي أنت عليها عرض في جوهرك فيزيل الله ذلك العرض ويلبسك ما أردت أن تظهر به من صور الأعراض- وكما ظهر جبريل في صورة البشر يظهر الإنسان في عالم الملائكة"[1]. ولكن التخييل كما هو معلوم نوع من أنواع السحر يحدث بقوة يمتلكها البعض بالرياضات والتدرب أو بفعل الكائنات الأخرى وإلا فأي كرامة إلهية هذه التي تحدث في المرحاض، وهل حقاً يستطيع الصوفي التشكل على هيئة الملائكة كتشكل جبريل على هيئة البشر؟! وإذا ما قلنا بالتخييل الذي به سحروا أعين الناس عندها يكون تفسيرهم لتلك الكرامات التي حدثت مع الأسود والوحوش وإلى ما هنالك على أنها ليست إلا من أعمالهم السحرية. أما عن قصة ذوبان جسم الولي وكبره حتى يملأ الكون فإني لا أجد أحداً أصلح لتفسيرها من "فرويد" لأنه حتماً سيفسرها باللاوعي الجنسي المكبوت في أعماق الصوفي نظراً للشبه الذي وضع به الصوفي نفسه.

---

[1] - ص٢٩٥ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

ـ الكرامات الصوفية ومعرفة الغيب:

إن معرفة الغيب الذي ما وراء العالم ومعرفة كل ما هو مغيَّب في عالم المادة يعرفه الصوفي فإن له إدراكاً لما في السموات والأرض وما بينهما وله علم بالساعة ومتى تكون وله المعرفة بمتى وأين الموت فما من ولي إلا وله علم بالغيب، فأبي يزيد مثلاً يتنبأ بموته"[١]، ويعرف ما يكنه

[١] ـ ص٦٦ النور من كلمات أبي طيفور

الناس في أسرارهم"[1]، كما يقرأ المستقبل"[2] والكتب الغائبة"[3]. ولكن إن كففت مزاعمهم بقوله تعالى: **"عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول"** حيث لا رسول بعد محمد ﷺ، ومن زعم عندها معرفة الغيب فإنه كمن زعم النبوة والرسالة وهذا كفر، قالوا: "لقد سمعنا من شيخنا أبي العباس يقول: وفي معناها: أو صدِّيق أو ولي"[4]، أما الغزالي فقد حذف كلمة "رسول" من الآية وقال: إنها زائدة، وبذلك يكون تحررهم من القيود القرآنية حتى أصبح لهم علم الغيب ومعرفته أكثر من الرسل والأنبياء.

ـ الكرامة الصوفية والنطق بالألسن:

التكلم باللغات المتعددة ظاهرة أخرى من ظواهر الكرامة الصوفية، فالشيخ محمد السروي "كان يغلب عليه الحال فيتكلم بالألسن العبرانية والسريانية والعجمية"[5] وهو جاهل بها أو بتعلمها، والشيخ ابراهيم الدسوقي "كان رضي الله عنه يتكلم بالعجمي والسرياني والعبراني

[1] ـ ص٦٧ نفسه
[2] ص٦٩ نفسه
[3] ـ ص٧٠ نفسه
[4] ـ ص٦٢ لطائف المنن
[5] ـ ص١٢٦ ج٢ الطبقات الكبرى

والزنجي وسائر لغات الطيور والوحش"[1]، وكان يقول: "اعلم يا ولدي أن ألسن القوم إذا دخلوا الحضرات مختلفة"[2] أو متعددة، والشيخ أبو العباس المرسي يقول: "سل ما شئت بالعجمية أجبك بالعربية أو سل ما شئت بالعربية أجبك بالعجمية- وإلا فلا يكون صاحب هذا الشأن ويخفى عليه شيء من الألسنة"[3]، "فإذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات وعرف جميع الألسن إلهاماً من الله عز وجل"[4]، وليس بالإلهام فحسب فأحدهم كان إذا تفل في فم واحد من أصحابه فإنه يتكلم باللغة التي يريدها"[5]. إلا أن الوسطاء الروحيون يفسرون هذه الظاهرة بأن الوسيط أو الولي يكون واقعاً بغلبة الحال أو الغيبوبة تحت هيمنة أحد الأرواح أو الأرواح المتعددة وتلك الأرواح أو الجن حسب المصطلح الديني هي التي تتكلم بلسان الوسيط بتلك اللغات المختلفة، وعندها يكون الصوفي قد أخطأ فقط في ربطه لمصدر النطق باللغات بالإله والإلهام وإلى ما هنالك عوضاً عن الجن والأرواح.

---

[1] - ص١٦٧ – ١٦٨ ج١ نفسه
[2] - ص١٧٠ نفسه
[3] - ص١١٠ لطائف المنن
[4] - ص١٤ ج٢ الطبقات الكبرى
[5] - ص١٥٢ ج١ نفسه

ـ الكرامة الصوفية وكلام النبات:

الأشجار والنباتات تتكلم مع الصوفي بشكل فصيح، وتوتة الشيخ شمس الدين الحنفي تحكي له قصتها "فقالت بصوت جهوري: نعم إنهم

كما زرعوني سقوني، فلما سقوني أسست فلما أسست فرَّعت"[1] وأحدهم كانت النباتات تكلمه بما لديها من خواص طبية، والشيخ "أبو المكارم قدس سره كان لا يمر عليه سحاب إلا وسلَّم عليه"[2] وابن عربي يقول: إن هذا المقام بكراماته هذه كائن لمن كان محدَّثاً دون أن يرى محدثه أو إعجازاً وكرامة"[3]، ولا بد لذلك من تفريغ الخاطر "فالزم الخلوة"[4] تكن لك تلك الكرامات، إلا أنه كما يقول الحراني قد يسمع أحدهم الشجر تكلمه بينما الجني هو الذي يتحدث إليه، وشتان بين تسبيح الحصى الذي أنطقه الله عز وجل إعجازاً وبين القصص التي نسمعها عن أحاديث الأشجار ذات العقل الناطق.

ـ الكرامة الصوفية والنار:

إن قصة القبض على النار والمشي عليها والدخول فيها ووضعها في الفم تعج بها كتب أهل التصوف، فأحدهم دخل التنور ولم يحترق لا

---

[1] ـ ص٨٩ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] ـ ص٢٠٠ قلادة الجواهر
[3] ـ ص٧٠ مواقع النجوم
[4] ـ ص٧٢ نفسه

لشيء إلا لطاعته العمياء لشيخه، والحلاج يضع الهاون في النار حتى أصبح كالجمر ثم دخل إلى النار ووقف عليه إقحاماً لأقرانه الذين جادلوه، والشيخ أبو الفتح "دخل النار وبقي في وسطها قائماً"[1] دون أن يناله أذى. إلا أن هذه الظاهرة كما هو معلوم قديمة حديثة وفي الهند تعرض هذه الخوارق في الطرقات والأزقة من رجال الهندوس، وفي عصرنا هذا – كما يقول علي راضي – يوجد وسطاء لهم القدرة على إمساك النار أيضاً ورأيت واحداً من هؤلاء سنة ١٩٨٥ وهو الدكتور راين هارت"[2] وهو من الذين يتمتعون بهذه الموهبة، إلا أنه لا بد للتخييل والحيل أن يكونا من المميزات المقترحة التي تفصل بين المعجزة وما قد يبدو مثلها أو شبيها بها وإلا لما كانت نجاة إبراهيم عليه السلام من النار إعجازاً ولا أظن أن المعجزات تقع نهباً لكل من أرادها مشركاً كان أو صوفياً وإنه لفرق أكيد بين حيات السحرة وحية موسى عليه السلام، بين حيات التخييل والحية على الحقيقة.

ـ كرامة الإدراك:

المعرفة أو الإدراك قمة الكرامة عند الصوفي وإدراكه إن صح التعبير لا حد له فليس محدوداً بموضوع أو وسيلة فالقرشي الأعمى مثلاً

[1] ـ ص١١٤ سير الأولياء
[2] ـ ص٥٣٣ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

"قال: كلي عين وأي عضو أردت أن أنظر نظرت"[1] والشيخ أحمد الرفاعي يقول مريدوه: إن "أقل ما فيه أنه صار لشعر بدنه أعيناً ينظر بها شرقاً وغرباً يمنة ويسرة"[2] حتى أصبح كالرسول برؤيته لما خلفه.

[1] - ص٥٥ سير الأولياء
[2] - ص٣٥ قلادة الجواهر

ـ كرامة اختراق المادة والمشي على الماء والهواء:

الصوفي كما يقولون من أهل الخطوة، فقد صلى الشيخ أبو عمر القرشي مثلاً في مصر ثم في مكة ثم في المدينة ثم في بيت المقدس في ليلة واحدة"[١]، فالصوفي بإمكانه أن "يضع رجلاً بالمغرب وأخرى بالمشرق، فإن الذات – أو الجسم – لا تطيق ذلك-. ولكن الروح أمدتها بالقوة "قوة السريان" حتى وقع ما وقع"[٢]، وبقوة السريان هذه يكون للصوفي "خرق الأجرام "المادية والنفوذ فيها"[٣]، وهكذا يستطيع الجسم فعل "ما تفعله الروح"[٤]. وبذلك يكون أيضاً تفسيرهم لما هو معروف بطي الأرض واختراق الجدران والمشي على الماء والهواء، وبهذه الطريقة صلى ابن عربي في الهواء مع الخضر وبها تربع القرشي على علو قامتين من الأرض"[٥].

إن قوة السريان هذه هي التي تخيل للرائي ما يراه وهي التي تسمى في أيامنا بالطرح الروحي أو الجسمي، فالطرح الروحي الذي به يكون إسراء الصوفي ومشيه على الماء هو كما يقول الروحيون "إخراج بعض مراتب الجسم الروحي عادة "من الجسم الفيزيقي أو المادي" وعندئذ

---

[١] ـ ص١٥١ ج١ الطبقات الكبرى
[٢] ـ ص١٥٧ ج١ الإبريز
[٣] ـ ص١٥٦ نفسه
[٤] ـ ص١٥٦ نفسه
[٥] ـ ص٣٠ سير الأولياء

يمكن للشخص أن يسير به على الأرض أو يزور بعض مناطق الأرض أو عالم الروح ويدخل في هذا الموضوع ظاهرة الإسراء والمعراج"[1] الصوفيين. أما الطرح الجسمي الذي به تفسير ظاهرة ما يسمى بطي الأرض أو الخطوة، فهو إخراج صورة الجسم أو مثاله ليقوم بإحداث هذه الظواهر بواسطة ما سماه الدباغ "قوة السريان" ولتحصيل الطرح الجسمي والروحي رياضات خاصة راجع بشأنها ما كتبه الوسطاء الروحيون وهي أي الرياضات متوفرة عند فقراء الهنود وأصحاب اليوغا وسواهما، ويحكى عن راهبة إسبانية تدعى "ماريادي أجريدا" على سبيل الذكر أنها كانت وهي في حالة غيبوبة عميقة تنتقل عبر البحار إلى المكسيك الجديدة وجزر الهند حيث كانت تقوم بتعليمهم الإنجيل"[2]، "وهاري هوفبور. تجسد هو الآخر في مكانين في وقت واحد"[3]، فهذا الجسم الذي تراه يمشي على الماء أو الهواء ليس بجسم حقيقي إنه كالجسم إنه مثاله، وهو بالفعل ما يعنيه التخييل أي هو سحر وباب من أبوابه.

---

[1] - ص٢٩٩ الروحية عند محيي الدين ابن عربي
[2] - ص٥٥٧ نفسه
[3] - ص٥٥٨ نفسه

ـ كرامات السمع وإرسال الصوت:

ومن كرامات الصوفي الحديث مع الملأ الأعلى والسماع عنهم ورؤيتهم"[١]، وله إرسال صوته أينما أراد ولا عائق يعيقه فالرفاعي "كان إذا صعد الكرسي سمع حديثه البعيد كالقريب حتى أن أهل القرى حول بلده يسمعونه كالذين بزاويته، وكان الأصم إذا حضره سمع كلامه فقط"[٢]، "فقد كان يقرأ الدرس بالبصرة فيسمعون كلامه أهل القرى من الجهات الأربعة مسافة تسعة أيام"[٣] تماماً كالمحطات الإذاعية في زماننا! وظواهر التخاطر عن بعد هي الأخرى ومعرفة أسرار الناس أكثر من أن تحصى لدى القوم، والروحيون يسمون الكشف أو ظاهرة سماع الكائنات غير المدركة أو الأصوات البعيدة بالجلاء السمعي، ويسمون رؤية ما هو مغيَّب بالمسافة والحواجز بالجلاء البصري، وكذلك يسمون ظاهرة التعرف بالشم بالجلاء الشمي. ويفسرون هذه الأمور على الإجمال بما يحدث للغدد والجملة العصبية من تأثيرات تدفعها لتحصيل هذه الظواهر، وبهذه التفسيرات مثلاً يكون معنى سماع الصوفي لحديث الله أو رؤيته وإلى ما هنالك من ظواهر إن لم يكن سماعاً لكائنات تعبث وتلهو به.

---

[١] ـ ص٧٦ مواقع النجوم
[٢] ـ ص٦٧ قلادة الجواهر
[٣] ـ ص١٠٣ نفسه

ومن الكرامات التي تسعى إلى تقديس أصحاب القبور أن أبا يحيى الصنهاجي دفنوه في قمة جبل عال "لا يخلو عن الريح أبداً فسكَّن الله الريح في ذلك اليوم واستبشر الناس. فلما نزل الناس هبت الريح على عادتها"[1].

ومن كرامات الصوفي ألا يطول له شعر ولا ظفر فقد "كان الشيخ محمد العجمي إذا كان في السياحات لا يطول له ظفر ولا شعر ولا يُحدث حدثاً يحتاج إلى طهارة، فإذا دخل البلاد العامرة أجرى عليه ما يجري على الناس من ذلك"[2]، حتى الحديد تراه ليناً في قبضة الصوفي، فقد كان الشيخ موسى بن ماهين الزولي "رضي الله عنه" إذا مس الحديد بيده لان حتى صار كاللبان"[3]. وللصوفي أيضاً كرامات تحفظه على الحلال أو الشريعة "فمن كراماته التي لا يدخلها مكر ولا استدراج – كما يقول ابن عربي – أن يحفظ عليه طعامه ولباسه ومشربه حتى لا يتناول إلا طيباً. وكان الحارث بن أسد المحاسبي رضي الله عنه إذا قدم له طعام فيه شبهة ضرب عرق على إصبعه، وكأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه ما دامت أمه حاملة به لا تمتد يدها إلى طعام حرام، وآخر ينادى يقال له: تورع،

---

[1] - ص٥٣ روح القدس في محاسبة النفس
[2] - ص٧٥ – ٧٦ سير الأولياء
[3] - ص١٤٠ ج١ الطبقات الكبرى

وآخر يأخذه الغثيان وآخر يصير الطعام أمامه رصاصاً وآخر يرى عليه سواداً وآخر يراه خنزيراً إلى أمثال هذه العلامات"[1].

ومن كرامات الصوفي تحصيله إلى الأمر الإلهي "كن" وما أغزر الذي قاله الواصلون عن اتحادهم بالذات الإلهية حتى أصبح الصوفي والإله سيان، بل إن "كن" التي لله عند ابن عربي هي "كون" وابن عربي نفسه هو "الواو" صلة الوصل بين الكاف والنون التي لا غنى عنها لوجود الأمر الإلهي. والشيخ ممشاد الدينوري يقول: "وتركت قولي للشيء كن فيكون منذ عشرين سنة أدباً مع الله عز وجل"[2]. فقد تأدب الرجل مع الله فترك مزاحمته في أخص شؤونه وصبر جميل والله المستعان!

---

[1] - ص١٠٦ مواقع النجوم

[2] - ص١٠٢ ج١ الطبقات الكبرى

ـ المعجزة والسحر:

لقد جرت الكرامات بين يدي المتصوفة حتى أصبحت مساوية لمعجزات الأنبياء إن لم تكن أعظم منها، وكان لا بد للأولياء من تبرير واقعهم هذا بشكل مشروع فقالوا: بأن الكرامة والمعجزة سيان وهكذا أًصبح لزاماً علينا الدخول في التمييز بين النبي والساحر والولي الصوفي وهذا بالطبع سيدفعنا للنظر بادئ ذي بدء في الآراء التي لها تفسير المعجزات.

لقد تم تفسير المعجزات بمذاهب ثلاثة ولكل قوم أغراضهم، فالفلاسفة الإشراقيون الذين أرادوا اغتيال كل المجهول ومن رؤيتهم لإتيان السحرة والكفار بشبه للمعجزات النبوية قالوا بأن المعجزات ناتجة هي الأخرى عن قوى نفسية يتمتع بها النبي بالفطرة ويحصِّلها مَنْ سواه بالتدرب والرياضات، ولا فرق بين النبي والساحر والولي إلا بالمرتبة الخلقية أو بمهامهم أو ما بين الفطرة والكسب، وابن سينا على سبيل المثال الذي تابع الفارابي بآرائه يقول: إن النفس أي نفس "إذا تجردت عن المادة "بالرياضات" تقوم بالمعجزات والكرامات وخوارق العادات وتؤثر في الكون كنفوس الأفلاك وعقولها"[١]، ويقول أيضاً: فلا تستبعدن أن يكون لبعض النفوس ملكة يتعدى تأثيرها بدنها وتكون لقوتها كأنها نفس ما،

---

[١] ـ ص٥٥٤ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية

للعالم"[1]. فأسباب المعجزات كما يقول طبيعية "فإن لذلك في مذاهب الطبيعة أسباباً معلومة"[2]، والقوة النفسية التي تقوم بإحداث المعجزات "هذه القوة ربما كانت – كما يقول – بحسب المزاج الأصلي "أي بالفطرة"-. وقد تحصل بضرب من الكسب كما تحصل لأولياء الله الأبرار. فالذي يقع له هذا في جبلة النفس ثم يكون خيِّراً رشيداً مزكياً لنفسه، فهو ذو معجزة من الأنبياء، أو كرامة من الأولياء-. والذي يقع له هذا ثم يكون شريراً ويستعمله في الشر فهو الساحر الخبيث"[3]. أي لا فرق في امتلاك هذه القوة بين النبي والولي والساحر وبالتالي فالنبوة "مكتسبة يفوز بها كل من توفرت له شروطها"[4] وكذلك المعجزات ولا هي مما يعجز عنه الإنس والجن ولا هي عن تدخل إلهي، إنها عن قوة نفسية مكتسبة أو فطرية يملكها النبي والساحر والولي ولا فرق بينهم إلا بالخير الذي ارتبط بالنبي والولي والشر الذي ارتبط بالساحر، والسهروردي المقتول يقول متابعاً الفارابي وابن سينا وأفلاطون وأفلوطين: "فلا عجب أن يكون لبعض النفوس قوة إلهية تكون بقوتها كأنها نفس العالم يطيعها العنصر طاعة بدنها لها"[5]، والغزالي هو الآخر يقول: "فكما أن البدن ينفعل للنفس "فلا ننكر أن يكون من القوى النفسانية ما هو أقوى فعلاً

[1] - ص١١٢ التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة
[2] - ص٥٥٥ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية
[3] - ص٥٥٧ نفسه
[4] - ص٥٥٩ نفسه
[5] - ص٢٢٥، ١١٢ التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة

وتأثيراً من أنفسنا نحن حتى لا يقتصر فعلها في المادة التي رُسم لها وهو بدنها، بل إذا شاءت أحدثت في مادة العالم ما تتصوره في نفسها- من إحداث سحب هاطلة ورياح وصواعق وزلازل وصياح مثير ويتبعه مياه وعيون جارية وما أشبه ذلك في العالم بإرادة هذا الإنسان، **والذي يقع له هذا الكمال في جبلة النفس فهو ذو معجزة من الأنبياء-** أو كرامة من الأولياء- ثم من يكون شريراً ويستعمله في الشر فهو الساحر الخبيث"[1] "فالساحر يستعمل هذه القوة في الشر، والنبي أو الولي يستعملها في الخير"[2].

أما ابن عربي فقد أخذ أيضاً بهذه القوى ونسب إحداث المعجزات إلى ما سماه "الفعل بالهمة"[3]. ولكنه وحَّد بين الأولياء والأنبياء والسحرة في استعمالها، ومن أجل المساواة بينهم قال بأن الأعيان ثابتة لا تنقلب، فمن المحال برأيه أن تنقلب العصا حية على الحقيقة وما أتى به موسى هو نفسه الذي فعله السحرة "فآيته عند السحرة "كما يقول" خوفه وآيته عند الناس تلقُّف عصاه، فآمنت السحرة وعلموا أن أعظم الآيات في هذا الموطن تلقف هذه الصور من أعين الناظرين وإبقاء صورة حية عصا موسى في أعينهم والحال عندهم واحدة- فالحقائق أو "الأعيان لا

---

[1] - ص١٤٤ معارج القدس
[2] - ص٢٢٧ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق
[3] - ص٢٢٧ التصوف الإسلامي بين الفلسفة والدين

تتبدل"[1]. أي: بما أن الأعيان ثابتة فالكل حسب رأيه تخييل ولا فرق بين ما كان من موسى وما كان من السحرة إلا في الدرجة، فموسى استطاع انتزاع ما خيَّله السحرة في أعين الناس ليبقى ما خيَّله هو وحده فالحال واحدة ولا فرق بينهما، ويقول أيضاً في حوار مع أفكاره عن منكر النبوة والرسالة: "فإن قيل له فقد جاء "النبي" بالعلامة "أو المعجزة" على أنه رسول من الله إليكم فيقول "المنكر": ألست تعلم أن السحر حق؟ وهذه الآية "أو المعجزة" من ذلك القبيل. هذا مع العامة، وأما مع العلماء والخواص مثل الحكماء "أي الفلاسفة وغيرهم" فإذا قيل لهم: ألستم ترون هذه الآيات الدالة على صدق ما يدعيه "النبي"؟، فأما العالمون بالنفوس وقواها فيجيبون عن ذلك بأن يقولوا: قد علمنا أن القوى النفسانية تبلغ أن يتأثر لها أجرام العالم فهذا من ذلك القبيل"[2]. فالمعجزة برأيه حق والسحر حق ولا فرق بينهما، وعند تفسيره لانتقال عرش بلقيس يقول: "وإنما كان إعدام وإيجاد"[3] "فما قطع العرش مسافة، ولا زويت له أرض ولا خرقها"[4] وكل الذي حدث خلق جديد للعرش بواسطة الهمة أو تخييل لوجوده!

---

[1] - ص١٥٩ ج١ بـ١٦ الفتوحات المكية
[2] - ص٨٣ ج٣ بـ٣٢٣ نفسه
[3] - ص١٥٥ ج١ فصوص الحكم
[4] - ص١٥٦ نفسه

وعندما أراد الغزالي البحث عن مميز آخر بين المعجزة والسحر جعل التمييز أشبه بالمحال ليقول: "ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم إلا من عرف جميعها وجملة أنواعها. ومن الذي يقوى على ذلك؟!"[١] "وأما قلب العصا حية فلعله - كما يقول الغزالي - أي موسى فعل ذلك بحيلة أو تلبيس"[٢]، "بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل"[٣]، فالمعجزة التي كالسحر بزعمه لا يحتج بها على صدق النبي أو الولي حتى "لو قلب كما يقول الغزالي أيضاً ألف عصا ثعباناً لأن ذلك يتطرق إليه احتمال السحر والتلبيس والطلسم وغيرهم"[٤]. أي: فإن كان قلب العصا حية لتصديق النبي أو الإيمان به، فكذلك سيكون خوار العجل شهادة صدق لمن حدثت بين يديه وهو كفر ومن صدقه فهو كافر، ومن أجل الفرقان بين النبي والولي والساحر قيل باقتران معجزة النبي بالتحدي بينما الولي أو الساحر لا علاقة له بالتحدي، وابن خلدون يقول: إن الفرق "بين المعجزة والسحر كما ذكره المتكلمون أنه راجع إلى التحدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه. قالوا والساحر مصروف عن مثل هذا التحدي فلا يقع منه. وأما الحكماء – أي الفلاسفة – فالفرق

---

[١] - ص٧٠ القسطاس المستقيم
[٢] - ص٥٨ نفسه
[٣] - ص٥٩ نفسه
[٤] - ص٦٠ نفسه

بينهما عندهم- فرق ما بين الخير والشر"[1]، أما المعتزلة فقد أنكروا الكرامات والسحر وعدوهما من جملة الحيل ولم يعترفوا إلا بمعجزات الأنبياء خارقة للطبيعة وقالوا: لو قدر الساحر أن يمشي على الماء أو يطير في الهواء أو يقلب التراب إلى ذهب على الحقيقة لبطل التصديق بمعجزات الأنبياء والتبس الحق بالباطل، فلم يعد يُعرف النبي من الساحر لأنه لا فرق عندها بين معجزات الأنبياء وفعل السحرة"[2]. وبجمع ابن خلدون بين رأي الفلاسفة ورأي المتكلمين إضافة لعجز الساحر عن معارضة المعجزة قال: "المعجزة لصاحب الخير- والتحدي بها على دعوى النبوة- والسحر إنما يوجد لصاحب الشر وفي أفعال الشر- ولما كانت المعجزة بإمداد روح الله والقوى الإلهية فلذلك لا يعارضها شيء من السحر"[3].

أما عن الفرق بين المعجزة والكرامة، فليس في التصوف من فرق جوهري بينهما، والرفاعيون يقولون: إن "هذه الخوارق "خوارق الأنبياء" يجوز في غالبها أن تكون كرامة لأولياء أمته ﷺ لأن ما كان معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي"[4]، "فكرامات أولياء المسلمين

---

[1] - ص٥٠٣ مقدمة ابن خلدون
[2] - ص١١٠ – ١١١ السحر بين الحقيقة والخيال
[3] - ص٥٠٢ مقدمة ابن خلدون
[4] - ص٢٣٩ ج١ الإبريز

معجزة للنبي ﷺ- . وإنكارهم كفر"[1]، ويقول الشعراني: "ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي أي: فلا فارق بينهما إلا التحدي فقط"[2]، وحتى إذا ما كانت الأعيان تنقلب للأنبياء فالأولياء أيضاً قادرون على ذلك، والشيخ محمد وهو ابن أخت الشيخ مدين يقول: "إنما كيمياء الفقراء أن يعطيهم الله تعالى قلب الأعيان بلفظ كن"[3] ومن ثم: فإن الكرامة هي البرهان على صدق المعجزة، والكلاباذي يقول في التعرف: "إن ظهور الكرامة هو تأييد للنبوة"[4] وغير جائز عند ابن عربي "أن تكون المعجزة كرامة لولي إلا أن يقوم ذلك الولي بذلك الأمر المعجز على وجه التصديق لذلك النبي دون أن يقوم به على وجه الكرامة لنفسه"[5]، "فكرامات الأولياء "إذن"- . من معجزات الأنبياء لأنهم إنما نالوها على أيديهم وبسبب اتباعهم، فهي لهم كرامات وللأنبياء دلالات"[6] أو معجزات، بل إن الصوفي كما يقول ابن عربي لا يصدق بالمعجزات النبوية حتى يجريها الله له أو حتى يكون له إعلام إلهي بوقوعها للأنبياء "فلا يمكن – كما يقول – في ذوق طريقنا تصديقه "ﷺ" مع الدلالة إلا بتجلي إلهي"[7]، ومن مساواة الكرامة بالمعجزة جعل البسطامي كل كرامات الأولياء إلهية

---

[1] - ص٢٠٨ قلادة الجواهر
[2] - ص١٠١ ج٢ م٥٠ اليواقيت والجواهر
[3] - ص١٠٨ ج٢ الطبقات الكبرى
[4] - ص١٨٠، ٣٥ – ٣٦، ١٩٨٩ مجلة التراث العربي
[5] - ص١٦٠ – ١٦١ م٢٩ اليواقيت والجواهر
[6] - ص٥٠٥ ج٢ مدراج السالكين
[7] - ص٣٠٥ – ٣٠٦ ج٢ بـ١٧٧ الفتوحات المكية

المصدر قائلاً: إن "حظوظ كرامات الأولياء على اختلافها تكون من أربعة أسماء: الأول والآخر والظاهر والباطن وكل فريق له منها اسم"[1] وهكذا أصبح المتصوفة "يجزمون بأن طاقاتهم وقدراتهم قد نتجت عن تأييد من روح الله- وبهذا يختلف موقفهم- عن موقف علم النفس"[2] الذي يربط هذه الملكات بتفسيرات لا علاقة لها بالدين إلا من باب استغلال الدين.

معجزات الأنبياء للتحدي والأولياء والسحرة لا يزعمون النبوة ولكن كما يقول المتصوفة يجوز للولي التحدي بالمعجزة التي هي كرامة له "على تصديق النبي لا على جهة الكرامة- فيظهر على الولي "عندها" ما كان معجزة لنبي- وجوزوا أن الولي لو تحدى بذلك على ولايته لجاز أن يخرق الله له تلك العادة، والكاذب لو تحدى بها على كذبه وهو صادق في أنه كاذب فجائز أن يخرق الله له تلك العادة على صدقه أنه كاذب"[3]، وإذا كان الأنبياء يحتجون بالمعجزات على المشركين، فالأولياء يحتجون بالكرامات على نفوسهم لتصلح ولنفوسهم لتطمئن"[4]، "فالولي إذا ادعى بفعل خارق للعادة أنه ولي فإن ذلك لا يقدح في معجزة النبي"[5]. إلا أن

[1] - ص٧٧ ج١ الطبقات الكبرى
[2] - ص١٢٥ فلسفة التصوف قدرات وطاقات
[3] - ص٣٧٤ ج٢ بـ١٨٧ الفتوحات المكية
[4] - ص١٠١ ج٢ م٥٠ اليواقيت والجواهر
[5] - ص١٦١ ج١ م٢٩ نفسه

بعضهم وإتماماً لتأكيد الفرق بالتحدي بين المعجزة والكرامة قالوا بوجوب ستر الكرامات "وكان اليافعي يقول: يجب على الولي إخفاء الكرامة إلا عن ضرورة أو إذن أو حال غالب. أو يكون لتقوية يقين بعض المريدين"[١]، وأبو عمر الدمشقي الذي أدرك خطورة ما تعنيه المساواة بين المعجزة والكرامة يقول: "فكما فرض الله على الأنبياء إظهار الآيات والمعجزات ليؤمنوا كذلك فرض على الأولياء كتمان الكرامات حتى لا يفتتن الخلق بها"[٢]، والشيخ عبد القادر الجيلاني يرى أن من شرط الولاية كتمان الكرامات، ومن شرط النبوة والرسالة إظهار المعجزات ليقع بذلك الفرق بين النبوة والولاية"[٣]. فمن أجل الحفاظ على الفرق بالتحدي يجب على الولي ستر كراماته المساوية للمعجزات وإلا فضح الأنبياء، وكان "ابن عليان يقول: من أظهر كراماته فهو مدع"[٤]، "ومن أظهرها في العموم فلرعونة قامت به غلبت عليه نفسه فيها"[٥].

فمن الجائز إذن ظهور المعجزات على الأولياء إلا أن الأولياء لا يتحدون بها لدعوى الرسالة والنبوة، وإنما انتصاراً وتصديقاً للنبي أو

[١] - ص٣٦١ نفسه
[٢] - ص٢٧٧ طبقات الصوفية
[٣] - ص١٦٣ ج٢ الغنية
[٤] - ص٤١٨ طبقات الصوفية
[٥] - ص٣٦ ج٣ بـ٣٠٩ الفتوحات المكية

انتصاراً لزعمهم الولاية أو لتقوية إيمان أنصارهم ومريديهم بهم وكذلك من الجائز ظهور المعجزة على الكذوب الصادق!

وتأكيداً على الفرق بالتحدي الذي جعلوه المميز الأهم تلاؤماً مع واقعهم قالوا بلزوم ستر الكرامات أو المعجزات عن العموم أدباً وإيثاراً وابن عربي يقول: لقد "أوجب الله على الأولياء ستر هذه الآيات مع قوتهم عليها- فلا فائدة لإظهار الآية بخلاف الرسول"[1] المحتاج إلى الخلق من حيث هو مشرِّع أو رسول، والولي ليس كذلك"[2] لأنه يسعى إلى مرسل الرسالة نفسه إلى الله، وهو ما يهتم به، والشيخ أبو سعود الذي تجاوز مقام المعجزات يقول لأصحابه: "إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة وتركناه تظرفاً- وأما نحن "كما يقول ابن عربي" فما تركناه تظرفاً وإنما تركناه لكمال المعرفة"[3]. وما أكثر هذه التصريحات عند الأولياء الذين يعربون بها على تجاوزهم لمقام الكرامات أو المعجزات تارة بحجة القطبية والوصول إلى الذات الإلهية، وتارة بالتظرف والأدب والمعرفة وإلى ما هنالك من مزاعم، وعندها فأين النبي من الولي من القطب هذا

---

[1] - ص٥٣١ ج٢ بـ٢٣١ الفتوحات المكية
[2] - ص١٢٩ ج١ فصوص الحكم
[3] - ص١٢٩ ج١ نفسه

الذي استولى على الكون بأسره"[1] حتى أصبح كجسده أو كالخلخال في قدمه!

ملاحظة: الأولياء ورثة الأنبياء كل الأنبياء في المعجزات وغير المعجزات، وطالما قد تم اعتماد الخير والشر للتمييز بين المعجزة والسحر عندها ستفاجأ أيها القارئ بما لأولياء التصوف من كرامات لا خلقية ابتداءً بالسلب والنهب انتهاءً بالقتل وانعدام الأخلاق.

---

[1] - ص١٧١ ج٢ إيقاظ الهمم

ـ الرأي الشرعي والفرق بين الخوارق:

ومما سبق نرى أنه من إدراك الخوارق عن الأنبياء والأولياء والسحرة على السواء ومن مساواة الكرامة بالمعجزة أو تجاوزها أخذ المتصوفة برأي الفلاسفة فقالوا أن الكرامة والمعجزة من نفس الطبيعة ولا تمييز إلا من حيث التمييز بين الخير والشر أو التمييز ما بين القوى الفطرية والقوى المكتسبة بالرياضات ولا شيء آخر.

أما الرأي الشرعي فيقول إن المعجزة من فعل الله سبحانه لا عن قوى فطرية أو مكتسبة، وهي مما يعجز عنه الإنس والجن على السواء، "فالمعجزة – كما يقول عبد العظيم الزرقاني – هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله. شاهداً على صدقه"[1]، "فمعجزة الرسول لا يقدر عليها إنسي ولا جني"[2]، "ذلك بأن الرسول جاء لدعوة الإنس والجن، فما اختص به من المعجزات يجب أن يكون خارجاً عن مقدور الجن أيضاً. وأن كرامات الأولياء وأعمال السحرة والكهان لها اعتبار آخر وليست تدنو من المعجزة فضلاً عن أن تسمو إليها"[3]، "أما أعمال السحرة والكهان فهي أمور معروفة للناس بالسحر مقدور عليها من البشر"[4]، أما "فلق البحر وإخراج ناقة من صخرة وإبراء الأكمه

---

[1] ـ ص٨٣ السحر بين الحقيقة والخيال
[2] ـ ص٢٦٥ التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة
[3] ـ ص٢١٥ ج١ نظرية المعرفة الإشراقية
[4] ـ ص٢٦٥ التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة

والأبرص وإحياء ميت قد بلي ورمت عظامه إلى آخر ما هنالك من معجزات الأنبياء، فقد أجمع الناس على أنه لا يكون عن سحر ساحر ولا حيلة كاهن"[1]، والدليل على ذلك أن القرآن الذي أعيا العرب بإعجازه قد عجز أصحاب الكرامات الوارثون للأنبياء أن يأتوا بمثله، وهم الذين ضاهأوا كل معجزات الأنبياء بما رووه عن أشباهها، وبما أملاه عليهم عجزهم اتجهوا نحو التشكيك به وتفريغ مضمونه، تارة بزعم التوحيد المختلف وتارة أخرى بوصولهم إلى قرآن الفهم المختلف أو القرآن الأم عن قرآن الدفتين، ولو كان لهم المجيء بمثل القرآن لاستراحت نفوسهم من كل هذا العناء ولما احتاجوا إلى التأويل من أجل استنطاقه بعقائدهم.

الأعيان في المعجزات تنقلب فالإنسان قد يصبح خنزيراً أو قرداً بأمر الله والعصا قد تصبح حية وقد يعود الخنزير إنساناً والحية عصا، كل ذلك يحدث حقيقة بأمر الله، أما الساحر فقد يأتي بما يشبه المعجزات عن طريق التخييل وبه قد تصبح العصا على منظر وهيئة الحية، ولقد قال تعالى: "**فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى**" فأخبر تعالى أن عمل أولئك السحرة إنما كان تخييلاً لا حقيقة له، وقال تعالى: "إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى" فأخبر الله أنه كيد لا حقيقة له"[2] وكيدهم بأنهم "سحروا أعين الناس" حتى أصبحت ترى

[1] - ص٢٦٧ نفسه
[2] - ص٦ ج٥ الفصل في الملل والأهواء والنحل

صوراً لا حقيقة لها في الوجود، والتحدي عندها هو الإتيان بالمثل للمعجزة التي بها حقيقة ما يحدث أو ما نراه، وحيث كان العجز كان التخييل، وبتخييل الشبيه كان زعم الوراثة!

المعجزات لم تحدث للأنبياء عن قوة نفسية أو فطرية يتمتعون بها، فالنبوة ليست عن كسب ولا لأحد من قوة على إحداث المعجزات، فالطوفان الذي كان معجزة نوح عليه السلام مثلاً لم يكن بأمره وكان نوح نفسه محل تصرف الله سبحانه كأي تصرف من تصاريف هذا الطوفان"[١]، "كذلك لم يستطع أن ينقذ ابنه من هذا الطوفان"[٢] فلو كان عن قوته لنجاه بالطبع وهو الراغب في نجاته "وابراهيم لم يمنع نفسه من الإلقاء به في النار ولم يكن هو الذي أطفأها وإنما الله سبحانه هو الذي قال لها: "يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم"-. فقوة التصرف هذه ليست للأنبياء ولا يقولون بها"[٣]، "وحياة الرسول ﷺ وسيرته تبرهنان على أن معجزاته لم تكن هي التي دفعت عنه شر أعدائه، فكان في غزواته لا يترك الأسباب"[٤]، ولو كانت المعجزات من قوته لدفع عنه اتهام المرجفين بزوجه عائشة ببضع آيات دونما تأخير على الإطلاق!

[١] - ص٢٧٠ التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة
[٢] - ص٢١٧ ج١ نظرية المعرفة الإشراقية
[٣] - ص٢٧١ التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة
[٤] - ص٢٧٢ نفسه

ومن سعى من جهة أخرى للحصول على القوة التي بها إحداث الخوارق بالرياضات التي أغلبها غير مشروعة ولا مقبولة عقلاً، فهو ساحر لا علاقة له بأولياء الله، والكرامة إن حدثت فهي هبة من الله أو إكراماً للمستقيم على شرط الإيمان مع أوامره ونواهيه سبحانه ولا علم لمن تحدث له بمتى حدوثها أو الإيقان بحدوثها، وكثيرون ممن كانوا على مناسبة نفسية مع الكائنات الأخرى من جن وشياطين قد أسلموا وحسن إسلامهم ولم يزعموا الولاية ولا الإرث لأنهم وجدوا بالإسلام كل الغنى عن تلك الأوهام.

ـ الكرامة الصوفية حكايات:

إن قيمة الشيخ الصوفي في المجتمع أو أمام مريديه أو أمام أقرانه من المشايخ هو بالدرجة الأولى ما يجري بين يديه من الخوارق، وإذا ما فشل الشيخ في مسعاه أو إذا تباطأ عليه الفتح والخوارق حيكت حوله حكايات الكرامات الكثيرة من أجل "تسكين القلب – كما يقول الشعراني – لذلك الولي، ليؤخذ كلامه بالقبول والاعتقاد"[1]، وإلا لفر التلاميذ بعيداً عنه وعن التصوف، والجنيد يقول: "الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوي بها قلوب المريدين"[2]، وابن عربي يقول: المطلوب هو "الهدف من تلك القصص لا صحة وقوعها"[3]! أي إن الحكاية لا تتعدى الوسيلة الإعلامية.

حكاية الكرامات ذات دور هام جداً في حياة الصوفي، فإذا ما وجد نفسه مهاناً لتسوله وأفعاله الشاذة في المجتمع وأمام الأطفال الذين يطاردونه بالحجارة والصفير لا بد يسعى للحكايات وزعم الأسرار والمعرفة والحكمة، وإذا ما كان سادناً لقبر ولي أو لرباط شيخ فما أكثر ما ينسبه من كرامات إليهما وإلا فلا إحسان ولا نذور ولا فتوح أو صدقات، أما إذا كان ذا أحلام في يقظته وهو السائر في طريق الأحلام، فكل حكاياته عندها للمساواة بينه وبين النبي سليمان عليه السلام الذي يكلم

---

[1] ـ ص١١٤ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] ـ ص١١٦ الصوفية في نظر الإسلام
[3] ـ ص٣٨ فلسفة التصوف قدرات وطاقات

الحيوان ويخضع الجان أو بموسى وعصاه أو عيسى بإحيائه للموتى وشفاء المرضى وإلى ما هنالك، ومع انتشار حكايات الأحلام هذه كثيراً جعل الغزالي سوء الخاتمة من "عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء"[1] أو بالكذب.

وبالنتيجة: إن اختلاق حكايات الكرامات إنما هو "أعراض لأمراض نفسية معقدة"[2]، وبها يخلق المتصوفة لأنفسهم دنيا من المجد الموهوم يعوضون به عما هم عليه من إحباط ودونية حماية لأنفسهم مما يعانونه من أمراض عميقة الجذور، وبها كان لهم "العلاج الوهمي للذات المصابة بالخواء وقلق الخصاء والهجر وبظنهم استعادة توازنهم المفقود"[3].

ولكن الصوفي بالطبع لا يعترف بأن كل ما لديه من الكرامات هو حكايات وقصص، ولكم نتمنى بالفعل لو زودنا بتلك المعايير الموضوعية للفصل بين الحكايات والكرامات وطالما لم يفعل فهو العذر لكل من كذب ما رووه من كرامات، والمؤسف جداً أن "يصدقها السذج من العوام"[4].

---

[1] - ص١٢٤ ج١ إحياء علوم الدين
[2] - ص٨٢ الصوفية في نظر الإسلام
[3] - ص٣٢ – ٢٨٤ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[4] - ص٤٢ أصول الفلسفة الإشراقية

ـ الكرامات الصوفية وأسبابها:

كرامة المؤمن قد تكون بإجابة الدعاء والاستغاثة وقد تكون تكريماً للمستقيم مع أوامر الله ونواهيه، أما الكرامة الصوفية ومن حيث هي مشروطة بأسبابها فمن الخطأ أن تسمى كرامة، لأنها ذات سبب مباشر بمن أحدثها، أو بما للصوفي من ملكة على حد تعبير الفلاسفة استفادها بالرياضات بعد أن لم تكن له، وربما تكون بفعل الجن وهذا أمر مختلف عما يعنيه التدخل الإلهي لوجود الكرامة.

أولياء التصوف جميعاً لم ينكروا ارتباط الخوارق بالرياضات حتى ولو كانت الرياضات على خلاف مع الشرع الإلهي، والشيخ مطرف الشخير يقول: "من ترك النساء والطعام فلا بد له من ظهور كرامة"[١]، وابن عجيبة يقول: "من مجاهدة البدن تظهر الكرامات الحسية. ومن مجاهدة النفس تظهر الكرامات المعنوية"[٢] أو المعرفية، وسهل بن عبد الله يقول: "من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك ظهرت له الكرامات"[٣]، وابن عطاء يقول: كيف تُخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد"[٤]، وابن عجيبة يقول: "شموس العرفان لا

---

[١] ـ ص٣٤ ج١ الطبقات الكبرى
[٢] ـ ص٦٣ ج١ الفتوحات الإلهية
[٣] ـ ص١٦٤ الرسالة القشيرية
[٤] ـ ص١٨٩ ج٢ الفتح الإلهي

تدرك بعقل ولا حدس ولا برهان، وإنما ببيع النفوس وبذل الأرواح"[1]، "فإذا صح مثل هذا البيع. فأنت قطب الوجود تدوره بيدك كيف شئت"[2]. أي: القطب بما صار له من قوة هو الذي يدور الوجود لا الله! ومن قام بالرياضات القهرية كما يقول "خرقت له العوائد الحسية كالطيران في الهواء والمشي على الماء"[3]، وابن عربي يقول في رسالة الأنوار: "من اتخذ التوكل رياضة له كان له "طي الأرض والمشي على الماء واختراق الهواء والأكل من الكون"[4]، والشيخ عبد الكريم الجيلاني يقول: "الإنسان إذا كان الأغلب عليه الأمور الروحانية – في رياضاته – من دوام الفكر الصحيح وإقلال الطعام والمنام والكلام وترك الأمور التي تقتضيها البشرية، فإن هيكله يكتسب اللطف الروحي فيخطو على الماء ويطير في الهواء ولا تحجبه الجدران ولا يقصيه بعد البلدان"[5]. أي: باكتساب هيكله اللطافة كنتيجة للرياضات كان له السير على الماء والطيران في الهواء... الخ، وابن عربي يقول: بخرق العوائد يصبح الصوفي كالملائكة وعندها له الاختفاء "عن الأبصار. ويصير كالهيولى قابلاً للتشكل والصور

[1] - ص١١٣ ج١ نفسه
[2] - ص١١٤ نفسه
[3] - ص٧ ج٢ إيقاظ الهمم
[4] - ص١٩٤ عـ٣٥، ٣٦، ١٩٨٩ مجلة التراث العربي
[5] - ص٩ ج٢ بـ٥٠ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل

كالعالم الروحاني مثل جبريل"[1]، ويكشف له عن غيابات الوجود- كالكلام على الخواطر والفراسة"[2].

أي: بالرياضات يصبح الصوفي كجبريل أو إبليس بالظهور بأي صورة شاء وبها يكون له التخاطر عن بعد مع الآخرين، وعن اكتساب التخاطر يقول الروحيون: إنه "يحدث غالباً في حالات الغيبوبة التشنجية التي قد يسببها الصيام الطويل والنوام والإرهاق الحسي عن طريق التحديق في سطح لامع"[3]، وهذا أمر لا علاقة له بالأديان، ولما أدرك ابن عربي المساواة في الخوارق بين البشر مؤمنهم وكافرهم أفصح عن حقيقة الأمر ليقول: "إن المسمى في العامة كرامة وآيات وخرق عوائد هي عند المحققين ليست بخرق عوائد، بل هي إيجاد "أو خلق" كوائن"[4] بالهمة، أي: "بالهمة أو بالقوة القدسية على حد تعبير الفلاسفة التي اكتسبها الصوفي برياضاته، يكون له إحداث ما يسمى الكرامات التي منها التخييل الذي هو خلق جديد بزعمه.

ولما أدرك أولياء التصوف من جهة أخرى انعدام الفرق بين خوارقهم وخوارق الكفرة قالوا بتوحيد لا فاعل إلا الله، وكل الخوارق التي للأولياء والسحرة والكفرة كلها من الله، ولإزالة الفرق بين الكفر والإيمان

---

[1] - ص٩١ مواقع النجوم
[2] - ص٦٣ نفسه
[3] - ص٢٦ هل هناك حاسة سادسة
[4] - ص٢٨٨ ج٣ بـ٣٦٠ الفتوحات المكية

عن أصحاب الخوارق جميعاً كان لهم توحيد لا معبود إلا الله وبهذه الحجج وأمثالها استعان أولياء التصوف بالسحر لجريان الخوارق بين أيديهم حتى جعلوه من أسرار الأولياء الكمل أو الواصلين.

ـ الاستقامة هي الكرامة:

لقد اتخذ مصطلح "الاستقامة" في علاقته مع الكرامة معنيان، الأول: يقول: الكرامة دليل الاستقامة، والثاني: هو المعبَّر عنه بالاستقامة مع الشرع والكرامة عندها أو من أكرمه الله هو الذي حفظه مستقيماً مع أوامره ونواهيه، وليس أعظم كرامة من هذه عند المسلم، والشافعي مثلاً يقول: "إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب"[١] "والسنة"[٢]. ولأهل التصوف أيضاً أقوال كثيرة على هذا المنوال، وقد قيل لأبي محمد المرتعش أن فلاناً يمشي على الماء! قال: عندي من مكَّنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء وفي الهواء"[٣]، والشيخ أبو علي الجوزجاني يقول: "كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك عز وجل يطالبك بالاستقامة"[٤]، والشيخ صدر الدين علي بن أحمد الصياد يقول "لإخوانه رضي الله عنهم أجمعين: الكرامة الاستقامة"[٥]، "فالاستقامة – كما يقول ناصر الدين بن المنير – يستحيل أن لا تكون كرامة"[٦]، والشيخ أبو الحسن الشاذلي "كان يقول: سمعت هاتفاً يقول: إن

---

[١] ـ ص٩٦ التصوف بين الحق والخلق
[٢] ـ ص١٠٥ نفسه
[٣] ـ ص١٣٤ ج١ إيقاظ الهمم، ص٢٦ الرسالة القشيرية
[٤] ـ ص٩٤ الرسالة القشيرية
[٥] ـ ص٣٥٣ قلادة الجواهر
[٦] ـ ص٧٣ ج١ الإبريز

أردت كرامتي فعليك بطاعتي"[1]، ويقول الشيخ "أبو الحسن رضي الله عنه: إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان: كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على السنة والمتابعة وترك الدعاوي والمخادعة"[2]، والشعراني يقول: "وظهور الكرامة ليست بشرط الولاية، وإنما يشترط امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه"[3]، والشيخ عبد القادر الجيلاني يقول: "الكرامة في تقواه والمهانة في معصيته"[4]، وأبو يزيد البسطامي مقارنة بين الكرامات الحسية والمعنوية يقول: "الذي يمشي على الماء ليس بعجيب لله خلق كثير يمشون على الماء وفي الهواء ليس لهم عند الله قيمة"[5]. ولما كانت تأتيه الكرامات كان مصراً بورعه أن تكون من الله بعلامات وشهود، فكان إذا "رأى الآيات والكرامات يسأل الله تعالى تصديق ذلك فيريه نوراً أصفر فيه مكتوب بنور أخضر: لا إله إلا الله محمد رسول الله، إبراهيم خليل الله، موسى نجي الله، عيسى روح الله. فيأخذ من الله بآياته وكراماته بخمسة من الشهود صلوات الله عليهم، وذلك في بدئه ثم انقطع عنه وارتفع"[6]. أي: عندما أصبح من جملة الواصلين أو مع انعدام الفرق بينه وبين الله! إلا أن أبا يزيد هذا الذي أراد الفصل بين

---

[1] - ص٧ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] - ص١٠٥ ج١ الطبقات الكبرى
[3] - ص١٦١ ج١ الأنوار القدسية
[4] - ص١٧٣ الفتح الرباني
[5] - ص١٧٢ النور من كلمات أبي طيفور
[6] - ص١٤٤ ــ ١٤٥ نفسه

القيمة والكرامة نراه وقد استخدمها دليلاً على ولايته، فقد كان ذات مرة رابع ثلاثة تساءلوا عن مقام الولي فقال أبو يزيد: "أقول: مقام الولي مع الله لو قال لهذا الجبل زل عن مكانك لزال، فتحرك الجبل، فقال أبو يزيد: ما هذه السعاية التي سعيت بي إلى خلق الله؟ أتريد أن يفشو سري مع الله بين خلق الله؟ فاستقر الجبل"[١]. وهكذا يكون وصولنا إلى المعنى الآخر للاستقامة من حيث أن الكرامة دليلاً لاستقامة من جرت بين يديه بعد أن كانت الطاعات هي الكرامة.

ملاحظة: الصوفي يقول بأن اتباع السنة النبوية، بأن الطاعة وفق الأمر والنهي الإلهي، بأن التقوى، بأن الاستقامة مع الشرع، كل ذلك هو الكرامة التي ما بعدها كرامة. أي إن الاستقامة هي الكرامة، ولكنه لمن أراد التعرف إلى حقيقته لا بد يراه على مستقيمات لا بد من إيضاحها لبيان ما تعنيه أقواله تلك.

السنة بالمعنى الصوفي ليست هي ما تعنيه عند أصحاب الصحاح، إنما هي السير على سنته ﷺ في تحصيله للنبوة أو للمعارف والعقائد التي كانت له عن الملأ الأعلى، إنها في اتباع دروبه أو رياضاته التي وصل بها إلى الله عز وجل أو إلى ملائكته، وهذا بالطبع هو النتيجة لربط أهل

---

[١] - ص١٣٧ نفسه

التصوف النبوة بالرياضات لا بالاصطفاء، وهذا بالطبع معنى مختلف للسنة عما تعنيه السنة.

أما من ناحية ما يعنيه ارتباط معنى السنة بما صح من المأثور النبوي على شروط أهل الحديث، فهذا أيضاً ذا معنى بعيد عما يعنيه الصوفي في علاقته بصحاح الأحاديث، حيث لا طريق صحيح برأيه لمعرفة المأثور النبوي إلا عن طريق الكشف وبه كان لأهل التصوف تكذيب الكثير مما صح عند المحدثين، وبه زعموا الكثير من الأحاديث الموضوعة التي لا أصل لها صحيح.

الصوفي يقول بطاعة الأوامر الشرعية والتكليفية، هذا صحيح، ولكن ما الذي يعنيه قوله هذا في علاقته بمستقيمات الظاهر والباطن، أو في علاقته بفكرة المراتب التي قمتها الوصول إلى الله عز وجل؟ أقول: إن التمسك بما تعنيه الأوامر والنواهي ليس شاملاً لكل أصحاب المقامات في التصوف، وإنما هو للمريد إلى حين الوصول أو الفتح أو اليقين والكشف، مصداق تفسيرهم لقوله تعالى "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" وإن كان الربط ما بين الأوامر الشرعية والشيخ الواصل فهو إما لاستدراج المريدين وإما من باب التقية ذات العلاقة بفكرة التمييز بين الظاهر والباطن، وبالتمييز بين الظاهر والباطن أيضاً يحق للواصل تأويل ظاهر الأوامر الشرعية إلى باطنها المختلف كل الاختلاف عما تعنيه في الظاهر

أو عند أهل الظاهر. ومن جهة أخرى وهو الأهم أن الواصل لا التزام له إلا بما يأمره الله به مباشرة أو بكشفه وعيانه حتى ولو كانت تلك الأوامر على خلاف الأوامر الإلهية المعروفة عن طريق النبوة!

أما من حيث ما تعنيه التقوى فإنها ستعني بتوحيد لا فاعل إلا الله "الوقاية" أي وقاية الله سبحانه وتعالى عن المذموم لا السلوك بما يرضي الله لاتقاء غضبه.

ومن حيث أن الكرامة هي المعارضة للنفس أو الهوى وصولاً للطاعات الشرعية المقررة في القرآن والسنة نراها عند الصوفي أي المعارضة وقد اتسمت بما لا حد له من تشريع أو سواه، حتى أن أحدهم على سبيل المثال رفض الذهاب إلى الجهاد بحجة قهره للنفس التي حدثته بهذا الفعل، كما امتنع آخر عن الذهاب إلى الحج أو إلى الصلاة بهكذا حجة انتهاء بتعميم قانون الرياضات القائل بمعارضة كل ما كان عن النفس أو هواها ولو كان خيراً أو طاعة، فقهر النفس عندها ليس للطاعات وإنما للرياضات التي ستؤدي إلى الكشف، والملاماتية منهم خير دليل على ذلك، ولو كانت الكرامات عند الصوفي من جهة أخرى تعني الاستقامة مع الأوامر الإلهية والنبوية، لما نسبها للأطفال الذين هم دون سن التكليف.

أما من ثقلت عليه هذه الأقوال فليتريث قليلاً لأنه حتى في كتابنا هذا لا بد سيدرك المعنى الصوفي المختلف أو الخاص للكرامة الذي له دحض ظاهر قولهم بأن الكرامة هي الاستقامة أو دليل الاستقامة مع الشرع.

ومن ذلك كله نرى بالمختصر أن الاستقامة عند الصوفي التي هي كرامة، إنما هي في طاعته لأوامر الله المباشرة التي لا علاقة لها بالنبوة وما الاستقامة الشرعية التي لديه إلا في قهر النفس ومخالفتها، فقهر النفس هو المشرع الذي أصبح قيماً على الشرع الإلهي أو النبوي، وهذا كله بالطبع ذو معنى مغاير لما تعنيه الاستقامة مع الشرع، حتى أن ابن عربي استقامة مع توحيد العقائد الذي يعتقده أهل التصوف يقول: "فما في الكون إلا مستقيم"[١]. وعندها فكل العقائد مهما اختلفت حتى المعوج منها على الاستقامة مع الله استقامة المنحني مع تعريفه وطبيعته حيث لا فاعل ولا معبود إلا الله.

---

[١] - ص٣١٣ ج٤ بـ٥٥٨ الفتوحات المكية

ـ الكرامة دليل الاستقامة:

الكرامة أو الخوارق دليل الاستقامة ومكافأة عليها وبهذا المعنى يفتخر الصوفي على أقرانه وعلى المذاهب الأخرى وعلى السذج أو العوام فالكرامة لا تكون إلا على استقامة مع الله عز وجل "فمن العبد الأدب – كما يقول الغزالي – ومن الله الكرامة، ومن تأدب بآداب الصالحين فإنه يصلح لبساط الكرامة"[١]، وإذا صح الانقياد – كما يقول ابن عربي – كان علامته خرق المعتاد"[٢]، "فالكرامة صادرة من حضرة أسمه تعالى البر فلا يكون إلا للأبرار من عباده جزاء وفاقاً"[٣]، "وحب الله – عند ابن عجيبة – قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لجميع الكرامات"[٤]، وسئل الشيخ أبو حفض النيسابوري "من الولي؟ فقال: من أُيِّد بالكرامات وغُيِّب عنها"[٥] أو لم يلتفت إليها. والشعراني الذي فصل بين الكرامة والولاية كما رأينا يقول: "فلا تقع كرامة لولي إلا إن كان صحيح الحال"[٦]، فالمشي على الماء مثلاً "فأما المشي على الماء – برأي الغزالي – فلا يكتسب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين"[٧]، "والكرامات هنا – كما يقول

[١] - ص١٩ ج٤ روضة الطالبين
[٢] - ص١٢٤ ج٢ الكبريت الأحمر، ص٣٤٤ ج٤ بـ٥٥٩ الفتوحات المكية
[٣] - ص١٠٥ ج٢ م٥٠ اليواقيت والجواهر، ص٣٧٠ ج٢ بـ١٨٤ الفتوحات المكية
[٤] - ص١٦٦ ج١ إيقاظ الهمم
[٥] - ص١٢١ طبقات الصوفية
[٦] - ص١٠٤ ج٢ م٥٠ اليواقيت والجواهر
[٧] - ص٩٧ ج٤ إحياء علوم الدين

الشاذلي – دليل على الكرامات في الآخرة"[1]، "واعلم كما يقول الدقاق: أن الاستقامة توجب إدامة الكرامة"[2]، واعلم أيضاً بأن كرامات الأولياء "فمنة وفضيلة ليظهر الله تعالى بها عظمة عبده وعلو رفعته عنده تعالى"[3]، والشيخ محمد الغمري يقول: "كان سيدي أحمد رضي الله عنه لا يأذن قط لفقير أن يجلس على سجادته إلا إن ظهرت له كرامة، وكانت كرامتي أنني نمت عن الوقود فأشرت إلى القناديل فاتقدت كلها"[4]، "وسئل فتح الموصلي عن الصدق فأدخل يده في كير الحداد وأخرج الحديدة المحماة ووضعها على كفه وقال: هذا هو الصدق"[5]، "والدسوقي يقول: إذا أطعت مولاك أطاع لك الماء والنار والهواء والخطوة والإنس والجن"[6]، فقد "اقتضت حكمة الله – كما يقول عبد القادر عيسى – أن يكرم أحبابه وأولياءه بأنواع من خوارق العادات تكريماً لهم على إيمانهم وإخلاصهم وتأييداً لهم في جهادهم"[7] أو مجاهداتهم ورياضاتهم. وفائدة الكرامة برأي أبو الحسن الشاذلي "تعريفه اليقين من الله- فالكرامة دافعة لزلزلة الشك في المنة- وشاهدة له الاستقامة مع الله سبحانه"[8]، "ومن أظهرت الكرامة

---

[1] - ص٩ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] - ص٩٥ الرسالة القشيرية
[3] - ص١٠٥ قلادة الجواهر
[4] - ص٨٨ ج٢ الطبقات الكبرى
[5] - ص٩٨ الرسالة القشيرية
[6] - ص١٧٦ ج١ الطبقات الكبرى
[7] - ص٤٦٠ حقائق عن التصوف
[8] - ص٦٩ لطائف المنن

عليه – كما يقول السكندري – عظم لأنها شاهدة له بالاستقامة مع الله- وبصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة"[١]، والعارفون للغيب أو لأسرار الناس لم يكن لهم ذلك لولا معرفتهم بالله، "فمن عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء"[٢]، وقد جيء مرة كما يروي المتصوفة بذي النون المصري ليحاكم أمام الخليفة عن زندقته، فقال الخليفة: "قالوا إنك تقول كما يقول الحسين الحلاج-. فانتفخ ذو النون حتى بقي كالفيل وقطرت كل شعرة منه الدم! فقال الخليفة: ما هذا عن باطل ثم أكرمه ورده إلى مصر مكرماً"[٣]. فالكرامة لمن أدرك حدوثها على هذا أو ذاك حسب زعمهم شاهدة "بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة"[٤]، والشاذلي يرى أفضلية التصوف على الفقهاء والمحدثين وأصحاب التفاسير بما يجريه الله على أيديهم من الخوارق قائلاً: "من أعظم الدليل على أن طائفة الصوفية قعدوا على أعظم أساس الدين ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شيء من ذلك لفقيه إلا إن سلك مسلكهم كما هو مشاهد"[٥]، والشعراني ربما عن طريق الخطأ روى هذا القول منسوباً إلى الشيخ عز الدين بن عبد السلام حيث يقول على ذمته: "كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على

[١] - ص٧٠ نفسه
[٢] - ص٦٧ ج٣ إحياء علوم الدين
[٣] - ص١٦١ ج١ الطبقات الكبرى
[٤] - ص٧٠ لطائف المنن
[٥] - ص١٤ ج١ الطبقات الكبرى

قواعدها"[1]، "ومما يدلك على صحة مذهب الفقراء كثرة كراماتهم، وما رأينا أحداً من الفقهاء وقع على يديه كرامة إلا إن سلك منهاجهم ومن لم يؤمن بكراماتهم حُرم بركتهم"[2]، وابن عجيبة يقول عن مذهب التصوف مقارنة بغيره من المذاهب: إن الله عز وجل "شرَّفه باعتبار ظهور ثمراته- أو بما ظهر عليهم من الكرامات الحسية والمعنوية"[3]، وابن البنا يتغنى بنوعي الكرامة هذين شهادة لأفضلية التصوف قائلاً:

"ثم بشيئين تقوم الحجة وإنهم قطعاً على المحجة"

ومن أين تكون الخوارق للفقيه المسكين وهو الذي لم يسلك الرياضات الموجبة لها؟

الكرامة دليل الاستقامة، فالكرامة إذن ناتجة للصوفي عن حب الله له أو عن حبه لله، وعن قوة يقينه به، وعن التأدب والطاعة له، وعن الإنقياد إليه، وعن معرفة خاصة به، وهي الإشارة إلى صدقه واستقامته والدليل على كرامته في الآخرة، وتأكيداً لانتصار الله له ضد أعدائه الفقهاء وأصحاب المذاهب الأخرى.

---

[1] - ص٩٢ ج٢ م٤٨ اليواقيت والجواهر
[2] - ص٤٩ ج١ الأنوار القدسية
[3] - ص٩٧ ج١ الفتوحات الإلهية

فالكرامة على التعميم إذن دليل الاستقامة فأنى ظهرت هي الشهادة إلى قرب صاحبها من الله عز وجل، إلا أنه تعميم يصعب تصديقه طالما أن الخوارق التي يزعمها القوم مشتركة بينهم وبين الكفار سحرة كانوا أو ذوي أديان مختلفة وحتى الكفرة وأهل الشرك يعتبرون معارفهم أيضاً أنها أعز ما لديهم من الخوارق المؤيدة لهم فيما يعتقدون بها، ومن هذا المنطق قيل: "لو كانت الكرامات دليل صلاح وتقوى كما يزعمون "أي أهل التصوف" لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أحق بها من هؤلاء المتمشيخين المتأخرين الذين تنسب إليهم الكرامات بغير حساب"[١]، فالخوارق لا تدل على عصمة صاحبها ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره عن الكفار والسحرة بمواخاتهم للشياطين"[٢]، "فخرق العوائد الحسية – حسب ابن عجيبة أيضاً – قد يكون لمن ليست لهم خصوصية كالسحرة وأرباب الشعوذة"[٣]، وليس هذا قاصراً على الحسية فقط بل على كل أصنافها "فالبراهمة قوم تظهر لهم الخوارق لمزيد الرياضات"[٤]، ولا علاقة لهم بما نؤمن به أو بمعاييرنا وهم أيضاً يستخدمون خوارقهم تأييداً لشركهم الناتج عن معرفتهم بالله كما يزعمون، والشوكاني في قطر الولي يقول: "فيأتي أحدهم في بعض

---

[١] - ص٨١ الصوفية في نظر الإسلام
[٢] - ص٧٥ تاريخ التصوف الإسلامي
[٣] - ص٨ ج٢ إيقاظ الهمم
[٤] - ص٤٦٦ حقائق عن التصوف

الأحيان بمكاشفات صحيحة، وهو مع ذلك متلوث بالنجاسة، فيظن من لا حقيقة عنده أنه من الأولياء وذلك ظن باطل، لأنه لو كان كذلك لم يظهر على يد أعداء الله من الكفرة كما يقع لكثير من المتريضين من كفار الهند وغيرهم"[١]، ومما "لا ريب فيه أن موضوعات الباراسيكولوجيا ومنها على سبيل المثال الإلهام والتخاطر مستقلة في حد ذاتها عن الاعتقاد ولا تربطها به صلة ما إلا من نفس نوع صلة علم النفس أو علم الحياة أو علم الإنسان أو علم الطب بالاعتقاد"[٢].

[١] - ص٢٥٤ التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة
[٢] - ص٢١٣ في الإلهام والاختبار الصوفي

ـ الخوارق ظواهر مشتركة:

خوارق السحرة والكهان بل والمعجزات برأي الفلاسفة حادثة بفعل قوة نفسية قدسية أو بفعل "الهمة" التي يتمتع بها بعض البشر كما يقول أهل التصوف، وابن عربي على سبيل المثال يقول: "فقد ينال التحكم في العالم بالهمة من لا وزن له عند الله ولا قيمة وليس بولي-. ومن خالط العزابية ورأى ما هم عليه من عدم التوفيق مع كونهم يقتلون بالهمة ويعزلون ويتحكمون لقوة هممهم وأيضاً لما في العالم من خواص الأسماء التي تكون عنها الآثار التكوينيات عند من يكون عنده علم ذلك مع كون ذلك الشخص مشركاً"[1]، "وقد يحصل هذا التأثير للهمة القوية – كما يقول ابن عجيبة وإن كان صاحبها ناقصاً- لخاصية جعلها الله فيه"[2]، وقد يقع الكشف – كما يقول الرفاعيون – مع صرف اليقين "فإنه يقع للبراهمة والفلاسفة والدهريين والرهبانيين وغيرهم ممن سلك طريق الخذلان والردى"[3]. فالخوارق والكشف والفعل بالهمة لا علاقة لذلك كله بالاستقامة، فقد تكون عن همة نفسية قوية أو عن معرفة بالسحر وتسخير الجن، إلا أن الخوارق من الناحية التاريخية قديمة وحدوثها قديم جداً، وزيعور يقول: إن "عمر الكرامة في التاريخ البشري لا يقل عن الأربعين ألف سنة- فهي موجودة في كل الحضارات والأديان وفي الأمم البدائية

[1] - ص٣٨٥ ج٢ بـ١٩٢ الفتوحات المكية
[2] - ص١٦ ج١ إيقاظ الهمم
[3] - ص١٥٦ ج٢ الإبريز

والمتطورة"[1] بلا فرق. فالسير على النار مثلاً وطعن الأجساد بأسياخ الحديد مع عدم خروج الدماء وعدم الإحساس بالألم كما يروي "كولن ولسن" ظواهر معروفة في جزر فيجي تقام بإشراف الشامانات في احتفالات موسمية سنوياً"[2]، "والحديث عن عدم الشعور بالألم عندما يطعن الشخص بدنه إبان احتفالات الرقص الجماعي شيء مألوف عند الهنود"[3] وهو نفسه ما يحدث للصوفي إبان حفلات السماع.

الخوارق شاملة واختلاف الأديان لا يمنع من حدوثها فالخوَّاص مثلاً حسب رواية أبو نعيم في الحلية التقى بيهودي أو نصراني حسب رواية الإبريز على سفينة في البحر ورغم كرهه للمساجد فقد مشى على الماء ومشى الخوَّاص هو الآخر على الماء رغم كرهه للكنائس، وعند سياحتهما في البراري معاً بلا زاد جاء كلب بثلاثة أرغفة لليهودي بينما جاء الطعام للخوَّاص بواسطة شاب وكلاهما خُدما بلا تمييز، والغريب أن الدباغ يقول معلقاً على القصة: "إنما الشياطين تلعب بهم – أي باليهود – فظنوا أن لعبادتهم على دينهم ثمرة"[4]، والقشيري الذي روى دخول الخواص مع مسيحي في سياحاته إلى البادية يقول: إنه رغم انتصار

---

[1] - ص١٧٠ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[2] - ص٣٢٢ الإنسان وقواه الخفية
[3] - ص٦٥ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[4] - ص٢٧٨ ج٢ الإبريز

النصراني في الخوارق على الخواص فقد أسلم النصراني حتى حل الزنار وترك النصرانية"[1].

ظاهرة وجود الخوارق ظاهرة مشتركة عند كل البشر وهذا مبدأ لا شك فيه وما أكثر روايات النصارى التي تحكي خوارق رهبانهم وقسيسيهم "فالراهب باترموسيوس – كما يقول بلاثيوس – كان يمشي على النيل ويطير في الهواء والقديس باخوم كان قادراً على التنبؤ بالمستقبل وعلى الرؤية من بعيد والنفوذ إلى السر الباطن في أعماق القلوب، ويوحنا الأسيوطي كان يتنبأ بالسيول والموت والانتصارات الحربية وبولس العبيط والقديس باخوم كانا يبصران داخل الضمائر"[2]، "وسانت جوزيف أو الراهب الطائر أكد الكثيرون من الشهود أعماله الخارقة والذي كان أشهرها القدرة على الطيران- فقد كان مولعاً بتجويع نفسه وجلد جسده بالسياط"[3]، وامتحنته الكنيسة كثيراً، وبعد موته منحوه "لقب قديس"[4]، والأب فاشير ما كان يدخل إلى مكان فيه صورة المسيح إلا وقد أصبحت تسيل منها الدماء"[5]، وهناك صورة "من أرشيف الفاتيكان- تظهر فيها "أليزابيت دور أجملان" مرتفعة في الهواء وقد

---

[1] - ص١٦٦ الرسالة القشيرية
[2] - ص٢٠٧ ابن عربي حياته ومذهبه
[3] - ص٢٢٦ الإنسان وقواه الخفية
[4] - ص٢٠٧ الإنسان والسحر
[5] - ص٢٢٩ الإنسان وقواه الخفية

كانت تتكلم لغات خمسة لم يسبق لها أن تعلمت إحداها على الإطلاق"[١]، والقسيس ميخائيل كان يتمتع بقدرته الفائقة على قراءة المستقبل كما لو كان يقرأ في كتاب مفتوح. إنه يفاجئ زائره في أول لقاء بمعرفته لتفاصيل دقيقة عنه"[٢]، "ووساطة المجلوبات التي تكلم عنها ابن عربي يتمتع بها الآن في عصرنا كثيرون في الشرق والغرب "فهيلولويس" جلبت فواكه بدون مجهود يذكر. وهذا ما تفعله مس جرين من بلتيمور بأمريكا"[٣]، "وإذا احتاج أحد الأطفال لشيء ليس في مقدورها طلبت منه أن يفتح دولابها القديم ليجد فيه ما يريد"[٤].

فليس للخوارق إذن من وطن عقائدي أو جغرافي وهكذا نكاد نكون "واثقين – كما يقول كولن ولسن – من أنه لم يكن هناك أي ارتباط بين معتقدات الأب جوزيف مثلاً وبين قدراته الخاصة كإنسان"[٥]، أما الأب اليسوعي دوتو إنكيديك فقد علل ارتفاع إحداهن بالهواء على أنه من فعل الشياطين "فالسبب يعود برأيه لمداعبة الشيطان لها فقط. إن الشيطان في داخلها بل يعيش فيها بالفعل منذ سنوات عدة. إنه يداعبها باستمرار"[٦].

---

[١] - ص٩٤ المسكونون بالشياطين
[٢] - ص١٢٦ الإنسان والسحر
[٣] - ص٥٣٢ الروحية عند محيي الدين ابن عربي
[٤] - ص٥٣٣ نفسه
[٥] - ص٢٢٧ الإنسان وقواه الخفية
[٦] - ص٩٧ المسكونون بالشياطين

الخوارق لا علاقة لها في التمييز بين الأديان والمذاهب حتى بين المذاهب الإسلامية، وكرامة الحمامات التي تغنى بها المتصوفة كثيراً قد حصلت لغيرهم، فالمختار الذي زعم النبوة كما قيل كان يقول أو كان أنصاره "يشيعون أن الملائكة تنزل على صورة الحمامات البيض لتنصرهم"[١]، "والرواية الصوفية تقول أن الملائكة قد جاءت على هيئة حمام بيض لتحضر جنازة ذو النون المصري الصوفي المشهور بتعامله بالسحر"[٢].

الخوارق في حد ذاتها محايدة لا علاقة لها بالتقييم "وليست صفة من صفات الولاية يختص بها أناس دون آخرين أو المؤمنون دون الكافرين، أو المتصوفون دون الناس أجمعين، وإنما هي ظواهر يشترك في إتيانها المؤمن والكافر والمتصوف وغير المتصوف"[٣]. ولما أراد الصوفي بذل الوسع للتمييز بين خوارقه وخوارق غيره من الكفرة والسحرة لم يكن تمييزه إلا واهياً لا قيمة له، فالهمة على سبيل المثال التي جعلها ابن عربي على ثلاثة مراتب أعلاها الهمة الحقيقية "التي موضوعها توحيد الكثرة أو للتوحيد"[٤] انتهاء بتوحيد الوجود الذي بالأصل لا يمكن ربطه بالأديان السماوية على الإطلاق، وهذا برأيه هو المميز بين

---

[١] - ص١٠١ الصلة بين التصوف والتشيع
[٢] - ص٣٦٥ نفسه
[٣] - ص١٠٢ التصوف بين الحق والخلق
[٤] - ص٥٢٧ ج٢ الفتوحات المكية

خوارق السحرة والكفرة وبين خوارق الأولياء الذين أسمى كراماتهم الكرامة المعنوية التي ثمرتها المعرفة بالتوحيد الصوفي أو بتوحيد لا موجود إلا الله، علماً أن وحدة الوجود أصل رئيسي من أصول الغنوص الذي بنيت عليه الهندوسية والمجوسية وإلى ما هنالك من أديان وثنية متعددة الوجوه.

ملاحظة:

الكرامة دليل على الاستقامة مع الله، ودليل على نجاة من جرت بين يديه في الآخرة يوم الحساب. ولكن كيف لنا من المنظور الديني أن نشهد باستقامة الكفرة والسحرة طالما هم ذوي خوارق وكرامات مدركة؟ اللهم إلا إن آمنا بوحدة العقائد التي يؤمن بها أهل التصوف، بل إن اعتبار أهل التصوف للكرامة على أنها المعيار المميز لأصحاب الاستقامة وإصرارهم على هذا المعيار هو الذي دفعهم إلى تبني وحدة العقائد التي لا فرق أمامها في الصواب بين موحد ومشرك بين مسلم ووثني وإلى ما هنالك، وبهذه العقيدة فقط يكون تعميم مقولة الكرامة دليل استقامة ولكن لا على أنها استقامة مع الله المفارق للعالم، وإنما مع الله الذي لا فاعل سواه.

وبعد القول بأن الكل كل العقائد إلى الصواب وفق توحيد لا معبود إلا الله سيأتي القول بانعدام التمييز بين الطاهر والنجس أو الخير والشر وفق توحيد لا موجود ولا فاعل إلا الله، وعندها سيكون جمع المعجزة

والكرامة والخوارق بالمصدر الإلهي ولا شيء بعدها إلا التمييز الاسمي أو الشكلي فقط ما بين النبي والولي والساحر. فأهل الكفر مستدرجون مخدوعون ممكور بهم وسبحانه وتعالى هو الفاعل للخوارق التي تجري بين أيديهم، ولكنها حجة يباح استخدامها من الجميع وعلى الجميع ولا طائل منها للاستقامة مع الله ورسوله.

ـ خوارق الكفرة والفسقة برأي أهل التصوف:

خوارق المتصوفة ظاهرة شاملة وحدوثها غير مرتبط بالاعتقاد، فهي كائنة للإنسان إن أخذ بأسبابها فهي للمسلم كما هي للمسيحي واليهودي والوثني، ويأبي الصوفي إلا اعتبارها دليل استقامة مع الله رغم وجودها المحايد، ومن أجل إصراره على التمييز نراه وقد انطلق إلى مصطلحات لا تسمن ولا تغني من جوع، وعبد القادر عيسى يقول: "الكرامة لا تكون إلا على يد ولي، وهو صاحب العقيدة الصحيحة. وأما ما يجري على يد الزنادقة والفسقة فهو الاستدراج"[1]. أي: إن خوارق الزنادقة والفسقة هي الأخرى إلهية المصدر!! ولكن "الولي لا يسكن إلى الكرامة. فإنه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج"[2]. ولكن أي معيار موضوعي سنحتكم إليه إن زعم الكفرة أيضاً بأن الأولياء هم المستدرجون؟! وبالتمييز عن طريق الاستدراج يقول الكلاباذي: "وجوَّز بعضهم – أي بعض المتصوفة – أن يري الله أعداءه في خاصة أنفسهم وفيما لا يوجب شبهة، ما يخرج من العادات، ويكون ذلك استدراجاً لهم وسبباً لهلاكهم، وذلك أنها تولِّد في أنفسهم تعظيماً وكبرياء ويرون أنها كرامات لهم استأهلوها بأعمالهم واستوجبوها بأفعالهم. فالذي للأنبياء

[1] ـ ص٤٦٢ حقائق عن التصوف
[2] ـ ص٤٦٢ نفسه

معجزات وللأولياء كرامات، وللأعداء مخادعات"[1]. والمخادِّع بالطبع هو الله!

فالكرامة كما نرى قد انحدرت عند أهل التصوف نحو المعنى أو التمييز الطائفي، فليس للشيعي أو السني أو الزيدي وغيرهم من كرامة إن جرت بين أيديهم إلا من باب الاستدراج حتى ولو كانوا على كشف صحيح وكرامات إلهية، والاستقامة بالمعنى الصوفي إذن تعني الاستقامة مع الظاهرة الصوفية بما تعنيه من مبادئ لا الاستقامة مع الشرع والعقيدة وأصول أو مبادئ الدين، وهذا ما سوف نلمسه قريباً إن شاء الله.

بالقوى النفسية أو بالملكات المكتسبة بالرياضات إذن يكون جريان الكرامات بين يدي أولياء التصوف والفسقة منهم وبين أيدي الكفرة والمشركين بلا تمييز، فالصوفي السالك مثلاً حسب اعترافهم قد يترك التكاليف وقد يرتكب الفواحش مع استمرار جريان الكرامات الإلهية بين يديه. ولكن كيف يكون اجتماع المعصية والكرامة؟ وللإجابة عن هذا السؤال قالوا: إن الله كريم وبكرمه لا استرداد له للنعم أو الكرامات التي وهبها لهذا العبد أو ذاك حتى وإن عصاه فيما بعد، وابن عربي يقول: "فأما إرداف النعم "أو الكرامات مع المخالفة- فصاحبها ممكور به- وإبقاء الحال مع سوء الأدب فهو "وارد أيضاً" في أصحاب الهمم- إنهم

[1] - ص٧٣ التعرف لمذهب أهل التصوف

يسيئون الأدب مع الحق بالخروج عن مراسمه مع بقاء الحال المؤثرة في العالم عليهم مكراً من الله فيتخيلون أنهم لو لم يكونوا على حق في ذلك لتغير عليهم الحال"[1]. فنفس الظاهرة من الخوارق إذن يسمى صاحبها أو ممكوراً به ولا تمييز إلا بالاسم فقط، فإحياء الموتى مثلاً قد يكون من الولي المقيم للتكاليف ومن الولي الذي ينكرها، وبمصطلح المكر كما نرى كان تجاوزهم أيضاً لمساواة خوارقهم بخوارق السحرة والكهان والكفرة وبه كان امتصاصهم لجريان الخوارق على عصاة الشرع، فالقشيري الذي لاحظ عدم زوال الكرامة حتى عند الصوفي الذي سلك دروب الرذائل التي منها اللواطة مثلاً يقول: "ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث، ومن ابتلاه الله تعالى بشيء من ذلك فبإجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله عز وجل وخذله، بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهَّله"[2]. وبهذا تكون العودة لمعيارية الشرع وقريباً سنرى قيمة هذا المعيار عند القوم.

إن الله سبحانه وتعالى كما يزعم أهل التصوف في توحيدهم يعطي لأعدائه الكشف الصحيح وخوارق العادات حيلة منه لإبعادهم وطردهم، فقد يقع الكشف إذن مع صرف اليقين "فإنه قد يقع للبراهمة والفلاسفة والدهريين والرهبانيين وغيرهم، ممن سلك طريق الخذلان والردى،

---

[1] - ص٥٣٠ ج٢ بـ٢٣١ الفتوحات المكية

[2] - ص١٨٤ الرسالة القشيرية

يكون ذلك في حقهم مكراً واستدرجاً ليستحسنوا حالهم ويستقروا في مقام الطرد والبعد"[1]، والمكر كما يقول الجرجاني ذو جانبين: "المكر من جانب الحق تعالى هو إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الكرامات من غير جهد. ومن جانب العبد إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر"[2].

ولكن ومن باب الملاحظة سنحتفظ بهذا المعنى جيداً لنذكره عند الحديث عن الكرامات اللاخلقية وعند الحديث عن الكرامات والتكاليف لنرى هناك غزارة الأولياء الممكور بهم وفق هذه المعايير!

القرآن هو المعجزة الأعظم كما هو معلوم، فهل له استمرار النزول على محمد ﷺ إن عصى محمداً ربه؟ لا، بل وكيف يكون اجتماع الطاعة والمعصية أو الكرامة وخرق الشريعة إن كان الله سبحانه وتعالى قد هدَّد محمداً ﷺ بقطع "الوتين"، إن عاقب يونس عليه السلام بالحوت، إن عاتب أيوب بالدود أو المرض، إن نعت الأعور بالدجال، إن حرق العجل وعاقب صاحبه. فليس من خارقة مع العصيان وفق هذا المنظور إلا والشيطان وراءها إن لم تكن عن ملكات نفسية أو عن ملكات تم تحصيلها بالرياضات والملكات عندها كالسكين فإما تستخدم لأغراض خلقية وإما لأغراض غير خلقية.

[1] - ص١٥٦ ج٢ الإبريز
[2] - ص١٧٩ العقلية الصوفية ونفسية التصوف

وأخيراً نقول: إنه إذا كانت الخوارق بذاتها واقعة بين حدي الكرامة والمكر فمن المحال عندها طالما لا تمييز موضوعي بينهما اعتبار الكرامة شهادة لاستقامة الذي تجري بين يديه، لأنها هي أو أسبابها يجب أن توزن بالشرع، فالشرع والعقيدة هما القيِّم على الكرامة لا العكس.

ـ الكرامة والوراثة:

لقد اصطدمت الكرامة الصوفية بتساؤل معياري مفاده: إذا كانت كرامات أولياء التصوف أكثر من معجزات النبي محمد ﷺ طبيعة وغزارة وتنوعاً فمن أين لهم هذا كله؟ فهل هم أعظم قرباً من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل؟! يقول المتصوفة: لا، إنها الوراثة. فبالوراثة يتم تبرير خوارقهم التي لم تكن للنبي محمد ﷺ لتكون وراثة عن الأنبياء القدامى الذين نجهل عدد جميعهم حصراً، فهذا الولي وارث محمدي وذلك وارث عيسوي وهكذا وصولاً إلى الحقيقة المحمد التي النبوات أو كل الأنبياء من تجلياتها، فهم بالنتيجة ورثة محمد ومن المحال أن يكون لهم ما لم يكن له.

الصوفي يمشي على الماء، ويحيي الموتى وهذا لم يكن لمحمد ﷺ، ولكنه بالإرث عن عيسى كان له ذلك وإن قلت: لمَ لمْ يرث محمد عيسى في هذا الشأن؟ قالوا: لأن الأنبياء ليسوا إلا مظاهر له أو من تجلياته في الزمان، فهم الآخذون عنه وليس من أحد يرث نفسه، وبهذا الإلزام كان اعتقادهم بالحقيقة المحمدية التي أصبحت في نهاية الأمر الخالق والهيولى للوجود.

العيسوي من الأولياء يمشي على الماء لأنه ورث عن عيسى عليه السلام معجزاته "وليس للعيسوي – كما يقول ابن عربي – من هذه الأمة

من الكرامات المشي في الهواء ولكن له المشي على الماء، والمحمدي يمشي في الهواء بحكم التبعية "يقصد بذلك المعراج النبوي"-. فنحن مع الرسل "أي مثلهم" في خرق العوائد الذين اختصوا بها من الله وظهر أمثالها علينا بحكم التبعية"[1]، والشعراني يقول: "لا يكون قط كرامة لولي إلا تبعاً لمن هو وارثه من الأنبياء-. وكل وارث كرامة لا يتعدى كرامة مورثه"[2] بل وحتى خوارق الكفرة لها نصيب من فكرة الإرث هذه، فعن كرامة الحديث بالألسن واللغات المختلفة مثلاً يقول ابن عربي: "وكل من نوجي بلغة أي لغة كانت، فإنه وارث لنبي ذلك اللسان، وهو الذي تسمعه على ألسنة أهل هذه الطريقة أن فلاناً موسمي وعيسوي وابراهيمي وإدريسي-."[3]وإذا لم ننس أن الخوارق ظواهر مشتركة فكل من جرت عندها الخوارق بين يديه فهو وارث لنبي من الأنبياء ولا فرق بين الهندوس والمجوس واليهود والنصارى إلا لمن جعل التناهي عدداً للأنبياء بلا علم ولا هدى! وأية غرابة في ذلك إن كان الرفاعي مثلاً يورِّث مريديه وأصحابه ما كان له من الخوارق إلى يوم القيامة حتى "سرت في أتباعه ومحبيه، وكل كرامات الأولياء معجزة للنبي ﷺ"[4] عن طريق حقيقته أو عن محمد الروحي.

[1] - ص٢٢٥ ج١ بـ٣٦ الفتوحات المكية
[2] - ص١٠٣ ج٢ م٥٠ اليواقيت والجواهر
[3] - ص٢٥٧ الروحية عند محيي الدين ابن عربي
[4] - ص٣١٣ أشرف الوسائل

وهكذا أصبح مصطلح الوراثة تبريراً لإتيان الصوفي بمعجزات الأنبياء وتبريراً لتجاوزهم معجزات الرسول ﷺ ولتبرير المساواة بين خوارقهم وخوارق الفسقة والكفرة. ولكن لما لمس الصوفي ركاكة هذا التمييز خاصة مع الكفرة زعم أن كرامته الأعظم إنما تتمثل فيما وراء المحسوس لتكون المعرفة من سمات الوارث المحمدي كأعظم كرامة تميزه عمن سواه، فكرامة الصوفي كما يقول الشعراني بقلبه وعلمه "فورثة الأنبياء آياتهم في الآفاق "المحسوسة" من خرق العوائد وغيرها وآية الوارث المحمدي في قلبه- علم في قلبه- علماً بربه"[1]. إلا أن الدؤوب في إدراكه للمعرفة الصوفية التي اعتبروها الكرامة الأعظم لإرثهم المحمدي سيراها في نهاية المطاف ليست إلا أسراراً لا شيء فيها إلا معارضة العقائد النبوية بعقائد الغنوص التي قمتها التوحيد الذي زعموه من الله عز وجل.

[1] - ص٨٨ ج٢ م٤٧ اليواقيت والجواهر

ـ الشيطان والخوارق الحسية والمعنوية:

إن للشيطان دوراً هاماً في قضية المعرفة والخوارق، فقد ورد في صحيح مسلم عن الرسول ﷺ أنه إذا كان أمر في السماء "يستخبر أهل السماء بعضهم بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع، فيلقونه إلى أوليائهم، فما جاءوا به على وجهه فهو صحيح، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون، فترمى الشياطين بالنجوم" ويقول الله عز وجل: "إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظاً من كل شيطان مارد، لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب، دحوراً ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب"[1]. فالشياطين تسترق السمع ناقلة معرفة الغيب وأنباء المستقبل إلى أوليائهم، ولكنهم والكهان يزيدون على الخبر الصحيح بالكثير من الأخبار الكاذبة، وللشيطان أيضاً مخاطبات كثيرة يزعم فيها أنه الله سبحانه وتعالى، وقد حدث هذا مثلاً لعبد القادر الجيلاني وسواه كثير، والحراني يقول: "وأعرف من يخاطبه مخاطب "من الجن" ويقول له: أنا من أمر الله، ويعده بأنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ ويُظهر له الخوارق. وتحمله "الشياطين" إلى مكة وتأتي به وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة وتقول له: هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك"[2]. وخوارق الشيطان كما يقول "إنما تحصل عند الشرك

---

[1] - (٦ -١١) الصافات

[2] - ص١٠١ – ١٠٢ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

مثل دعاء الميت أو الغائب أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات- وغيره من المحرمات ومثل الغناء والرقص- وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه"[1]، والأحوال أو الوجد الناتج عنها كله عن "أحوال شيطانية"[2]، فالشيطان "لا يخدم الإنسي بهذه الأخبار- وغيرها إلا لما يستمتع به من الإنسي بأن يطيعه الإنسي في بعض ما يريده إما في شرك وإما في فاحشة وإما في أكل حرام وإما بقتل نفس بغير حق"[3]، "والشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان، فتارة يخبرونه ببعض الأمور الغائبة ليكاشف بها، وتارة يؤذون من يريد أذاه بقتل وتمريض ونحو ذلك، وتارة يجلبون له من يريد من الإنس، وتارة يسرقون له ما يسرقونه من أموال الناس من نقد وطعام وثياب وغير ذلك، فيعتقد أنه من كرامات الأولياء وإنما يكون مسروقاً، وتارة يحملونه في الهواء فيذهبون به فيعتقد هذا كرامة مع أنه لم يحج حج المسلمين: لا أحرم ولا لبى ولا طاف"[4]. وعند حديث ابن عربي عن واحد من مقامات الصوفية يقول عن كرامات هذا المقام: "ومن كراماته أيضاً يأتي لصاحب المقام الجن أو المَلَكْ بغذائه من طعامه وشرابه ولباسه أو يعلق له في الهواء كما اتفق لبعضهم لما احتاج إلى الماء في الصحراء فسمع على رأسه صلصلة

[1] - ص١٠٢ نفسه
[2] - ص١٠٣ نفسه
[3] - ص٦٣ ج١ رسالة الفرقان
[4] - ص٣٣ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة

فرفع رأسه فإذا هو بكأس معلق بسلسلة ذهب فشرب منه وتركه، ورأى بعضهم شخصاً في الهواء يناوله رغيفاً فسأله فقال هو ملك الأرزاق ورؤي بعضهم قد سرقت له امرأة طعاماً لم تعرف، فسئل عنها فقال: هي الدنيا تخدمني"[1]. فمن كرامات الصوفي أن يقوم الجان بخدمته تماماً كسليمان عليه السلام الذي ورثوه، فيأتونه بدراهم القدرة وبطعام الغيب وهيهات له التمييز بين ما زعمه الشيطان وبين مَلَكْ الأرزاق على الحقيقة، ولكن ابن الدباغ وبعد أن قال باشتراك المؤمن والكافر في السير على الماء والطيران بالهواء قال هذه المرة مميزاً لكل منهما: لا، لا، فليس الأمر كما يزعم ابن عربي وإنما الملائكة مختصة بخدمة المتصوفة والجان والشياطين لخدمة الكفرة، واعلم كما يقول "بأن الله تعالى خلق النور وخلق منه الملائكة، وجعلهم أعواناً لأهل النور بالتوفيق والتسديد وخرق العوائد، وكذلك خلق الظلام وخلق منه الشياطين وجعلهم أعواناً لأهل الباطل بالاستدراج والمزيد من الخسران والتمكن من الخوارق"[2].

الشيطان يخدم أهل الفجور والفسقة ومن يطيعه في دروب الكفر والردى، والحارث الكذاب ادعى النبوة زمن عبد الملك بن مروان، وكان له من الخوارق الشيء الكثير، وبعد مطاردات عدة جيء به إلى حتفه "فجاء رجل فطعنه بحربة فانثنت. فقال عبد الملك بن مروان للذي

---

[1] - ص١٠٨ مواقع النجوم

[2] - ص٢٧٧ ج٢ الابريز

ضربه بالحربة لما انثنت: أذكرت الله حين طعنته؟ فقال: نسيت. قال: فاذكر الله ثم اطعنه، فذكر ثم طعنه فأنفذها"[1] فقتل.

الصوفي يعترف ويقر بالمصدر الشيطاني للخوارق ولكنه عند التمييز بين الكرامة الإلهية أو الرحمانية والكرامة الشيطانية نراه لا يأتينا إلا بالمعايير المضحكة فالشيخ يوسف العجمي مثلاً يأتيه وارد إلهي يأمره بالرحيل إلى مصر لإرشاد الناس "ولم يقبله إلا بشاهد منه "تعالى" وهو أنه خطر له مرة أولى وثانية وثالثة أن أرحل إلى أرض مصر وارشد الناس، فقال: اللهم إن كان هذا خاطر حق فاقلب لي هذا النهر لبناً خالصاً في هذا الوقت حتى أغرف منه بقصعتي هذه وأشرب، فانقلب النهر لوقته لبناً خالصاً وشرب منه ثم إنه شرع في التوجه إلى بلاد مصر"[2]، ويروي المتصوفة أن رابعة العدوية "أصبحت يوماً صائمة في يوم بارد. قالت: فنازعتني نفسي إلى شيء من الطعام السخن أفطر عليه، وكان عندي شحم. فقلت: لو كان عندي بصل أو كراث عالجته، فإذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب في منقاره بصلة، فلما رأيته أضربتُ عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان"[3].

[1] - ص١٠١ التصوف بين الحق والخلق
[2] - ص٥١ ج٢ الأنوار القدسية، ص٦٥ ج٢ الطبقات الكبرى
[3] - ص١٥٢ رابعة العدوية، ص٣٨٣ تلبيس إبليس

فالشيخ يوسف العجمي يطالب بالمعجزة وقلب الأعيان لتصديق وارد ليس بذي أهمية، ورابعة العدوية لا يسعها إلا الحذر، وليس هذا كله وأمثاله إلا معايير ذاتية لا خروج لها في التقييم عن دائرة صاحبها، أما أبو يزيد البسطامي فقد "صلى ليلة فأضاء البيت كأنه نصف النهار، فقال أبو يزيد: إن كنت شيطاناً فأنا أعز وأمنع جانباً من أن تطمع في"[1]. فهو إذن لا يعرف إن كانت كرامته هذه من الشيطان أو من الله! ولكن الحذر الشديد ورفض كل الخوارق بحجة عدم البينة في التمييز بينها وبين الكرامة شيء مرفوض كما يقول عبد القادر الجيلاني الذي روى: أن "ابن شمعون رحمة الله عليه إذا جاءته الكرامة يقول: هذه خدعة، هذه من الشيطان، ودام على ذلك حتى قيل له: من أنت ومن أبوك؟!"[2]. فليس من معايير يقينية يسلكها الصوفي تمييزاً لخوارق الشيطان عن الكرامة إلا الحذر والشك السلبي ولا زودنا نحن الآخرين بأي معيار نتعرف بواسطته إلى تمييز نطمئن إليه وليس من مميز موضوعي في نهاية المطاف إلا الذي رواه الغزالي بلسان الشافعي: "إن المحققين قالوا: لو رأيت إنساناً يمشي على الماء وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان"[3]، وبهذا لا بغيره يكون التمييز الصحيح بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فكل خارقة من وجهة النظر هذه لفاسق في العمل

[1] - ص١٣٢ النور من كلمات أبي طيفور
[2] - ص٢٦٦ الفتح الرباني
[3] - ص١٢٠ – ١٢١ ميزان العمل

ولفاسد في العقيدة فمصدرها الشيطان، فالشرع بالنتيجة هو الحكم والمعيار الموضوعي الوحيد الذي لكل الناس أن يستخدموه في الفصل بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

- التكاليف والكرامات الصوفية:

من المعلوم أن التكاليف حسب الواصلين وأولياء التصوف لا تصلح إلا للعوام والمبتدئين أو المريدين، ومبدئين لا بد منهما لنقاش هذه المسألة، الأول: أن الاستقامة هي استقامة مع الشرع. والثاني أن الكرامة دليل استقامة مع أوامر الله ونواهيه بما فيها أوامره بالتكاليف. أما الصوفي الزاهد في كل ما سوى الله لإفراد القصد إليه سبحانه، فلن يرى التكاليف إلا من جملة الأغيار، وابن عجيبة يقول: "وكتب شيخ شيخنا رضي الله عنه إلى بعض الإخوان: أما بعد فإن أردتم أن تكون أعمالكم زكية وأحوالكم مرضية فقللوا من العوائد فإنها تمنع الفوائد، وسمعته رضي الله عنه يقول: من جملة العوائد تتبع الفضائل وكثرة النوافل"[1]، "فخرق العوائد أبداً لها بضدها"[2]، فخرق العوائد كما يرى علة في إيجاد الفوائد أو في جريان الكرامات. فالكرامات ليس طريقها أن تعتاد المساجد لأداء الفرائض أو التكاليف ولا كثرة النوافل ومن خرق هذا المعتاد أو هذه العادات أصبحت أعماله زكية وأحواله مرضية. ولكنها برأي الغزالي أحوال شيطانية غير مرضية!!

وبينما كانت رابعة العدوية في طريقها إلى الحج كما روى العطار في تذكرته خرجت الكعبة من مكانها لاستقبالها واتفق أن ابراهيم بن أدهم

---

[1] - ص٨ ج٢ إيقاظ الهمم

[2] - ص٩ نفسه

وصل إلى مكان الكعبة بعد أربعين سنة استهلكا طريقه إلى الحج، حيث كان يصلي ركعتين عند كل خطوة. فلما وصل إلى مكان الكعبة فلم يجدها مكانها "فتأثر إبراهيم ثم رأى الكعبة قد عادت إلى مكانها، وشاهد رابعة تتقدم مستندة إلى عصا، فقال لها: أي رابعة! يا لجلال أعمالك! ثم وما تلك الضجة التي تحدثينها في الدنيا؟ فالكل يقولون ذهبت الكعبة للقاء رابعة. فأجابته رابعة قائلة: يا ابراهيم! وما تلك الضجة التي تثيرها أنت في الدنيا بقضائك أربعين عاماً حتى تبلغ هذا المكان؟ فالكل يقولون: ابراهيم يتوقف في كل خطوة ليصلي ركعتين. فقال ابراهيم: نعم أمضيت أربعين ربيعاً أجتاز هذه الصحراء. هنالك قالت رابعة: يا ابراهيم لقد جئت أنت بالصلاة أما أنا فقد جئت بالفقر"[1]. فليس بالتكاليف إذن كان تفوقها عليه وإنما بالفقر وميراث الجوع والزهد في كل ما سوى الله أو عن كل ما هو مادي وأفعال مادية، ويكفيها فخراً أن الكعبة انتصرت للجوع على التكاليف لما ذهبت لاستقبالها. ولكن أليس هذا كله إلا حكاية لبيان الفرق بين التكاليف والرياضات في وصول الصوفي إلى القرب الإلهي؟

لقد صحب أحد المسلمين أبو يزيد البسطامي في رياضاته وهو على الظن بأنه سيصل إلى تحصيل الكرامات بالصلوات والنوافل وبقي معه "ثلاثين سنة فلم يذق شيئاً من الكرامات، فقال له أبو يزيد لو صليت

[1] - ص٤٣ – ٤٤ رابعة العدوية

ثلاثمائة سنة لم تذق شيئاً لأنك محجوب بنفسك ثم قال له: اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلِّق في عنقك مخلاة واملأها جوزاً واجمع حولك صبياناً وقل بأعلى صوتك: يا صبيان من يصفعني صفعة أعطيته جوزة وادخل السوق وأنت على هذه الحالة حتى ينظر إليك كل من عرفك، ثم قال له: فلا مطمع لأحد فيما حجب عن العامة من أسرار الغيب حتى تموت نفسه ويخرق عوائد العامة فحينئذ تخرق لك العوائد وتظهر لك الفوائد"[١].

ولكن من الملاحظ أن هذه الشخصية التي رسمها أبو يزيد ليست بالشخصية التي يرضى عنها الإسلام، فقد حلق الرجل لحيته التي هي من السنة النبوية وكشف رأسه بذل ليبحث في الأسواق عمن يهينه بل وأمره بخرق ما اعتاد عليه العامة من أداء التكاليف لتكون له الخوارق وتحصيل المعرفة التي لن تكون له لو بقي مقيماً للصلاة ثلاثمائة سنة!

"ورجلاً من الأبدال كان يمشي في الهواء مع أصحابه فمرُّوا على روضة خضراء فيها عين خرارة فاشتهى أن يتوضأ من ذلك الماء ويصلي في تلك الروضة، فسقط من بين الجماعة وتركوه وانصرفوا وانحط عن رتبتهم بهذا القدر. فانظر – كما يقول ابن عربي – في هذا

---

[١] - ص٨ ج٢ إيقاظ الهمم

السر ما أعجبه"[1]. فبمجرد أن خطر في قلب البدل الوضوء والصلاة زالت عنه كرامته! فهلا أدركت أسرار الخوارق؟ أم أن الله يكره عبده إن اشتهى إقامة فرائضه في مكان استحسنه، ومن ثم أين قولهم بدوام الكرامة مع المعصية إن صح أن الوضوء والصلاة معصية؟ فأية معصية هذه؟!

والكرامة أيضاً سخرت كوسيلة في ردع المطالبين بإقامة التكاليف والأوامر الشرعية، فمثلاً شك جماعة بأن الشيخ تاج الدين لم يتوضأ في صلواته فأرادوا مراقبته "فعدىَّ في مركب والجماعة الممتحنون في مركب آخر فغرقت بهم. فأخبروا الشيخ فقال: لله الحمد"[2]. فإن الله أكرمه بأن قتل من أراد التثبت الشرعي من إقامته للتكاليف، فاحذروا أيها الناس من مراقبة الصوفي، ولكن إن صحت الرواية فالقاتل بالتأكيد ليس هو الله، لأن الله لا يكرم أحداً بقتله المسلمين.

الشيخ "ابراهيم الرقي يقول: قصدت أبا الخير التيتاني "المشهور بكثرة الكرامات" مسلماً، فصلى المغرب فما قرأ الفاتحة مستوياً. فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي. فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت إليه وقلت له: إن الأسد قصدني. فخرج وصاح عليه وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني، فتنحى الأسد ومضيت أنا وتطهرت. فلما رجعت قال لي: اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا

[1] - ص٥٠٢ ج٤ بـ٥٦٠ الفتوحات المكية
[2] - ص١٢٩ ج٢ الطبقات الكبرى

الأسد"[1]. فالصوفي الذي خرق الظاهر وأعمال الجوارح وصولاً إلى الباطن له الكرامات دون سواه، فالتكاليف للباطن للقلب، إنها بعيداً عن الظاهر بعيداً عن الأعمال والجوارح، ولا كرامة لمن بحث عن شروط صحة الصلاة والصوم وإلى ما هنالك، وانصرف المسلم المسكين وانطلت عليه ألعوبة التخييل أو ألعوبة الشيطان الذي من قدرته التمثل والتشكل على هيئة الحيوانات، وهكذا انتصر الصوفي على الفقهاء الذين توعدهم بالرعب والهلاك وكأنه لا صلة بين تقويم الباطن أو القلب وأعمال الجوارح على الإطلاق.

لما شتم الحلاج المؤذن ذات مرة وكذبه "لحقه الناس حتى دخل إلى مدرسة فأغلقوا عليه الباب ومضوا إلى الخليفة. ولما وصل الخليفة والناس لأخذ الحلاج وجدوه خرج منها، وكبر حتى لم يعد يسعه موضع، فما قدر أحد أن يتقدم إليه. فعند ذلك تركوه إلى الغد فوجدوه قد صغر كأنه ابن ثلاث سنين، ثم أنهم تركوه إلى مدة ثلاثة أيام فدخل من باب المدينة"[2] بعد أن انتصر على الجميع فقد نجته الكرامات من العقاب والمطاردة رغم شتمه المؤذن وتكذيب ما دعى إليه من توحيد، وابن عربي جعل من علامات صاحب الأحوال الصحيحة "أن يحمي نفسه من متولي الحدود

[1] - ص١٠٩ ج١ الطبقات الكبرى، ص١٦٣ الرسالة القشيرية
[2] - ص٢٦٢ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم

فتيبِّس يده مثلاً فلا يستطيع أن يحركها نحوه"[1]. فالمجدف على الله ورسوله ستحميه أحواله وخوارقه ممن يقيم الحدود حتى وإن سرق وزنى وشرب الخمر، والكرامة أيضاً حجة لنجاة فسقة أهل التصوف من موازين الشرع فقد "جاء نقلاً عن الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي قوله: كم من رجل رفع كأس خمر بيده إلى فيه، وقلبه الله في فيه عسلاً والناظر يراه شرب خمراً وهو ما شرب إلا عسلاً ومثل هذا كثير"[2]. فإن الله إذن سيقلب الخمر عسلاً في فم أوليائه من أجل تعطيل فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبهذا أيضاً يكون انعدام معايير الصدق والكذب طالما أن الله سيجعل الخمر عسلاً في فمه أو طالما العبرة بالباطن اللامدرك، ويكفيه أن شهدت الكرامة لا الشرع باستقامته، ولكن مع من؟!

ولما أراد ابن عربي أيضاً إحياء شبيه لذات نواط تلك الشجرة التي كان يقدسها الجاهليون قال: لقد كان هناك نخلة تميل على شارع من شوارع إشبيلية حتى منعت الناس من المرور فأجمعوا الرأي على قطعها "فرأيت رسول الله ﷺ تلك الليلة في نومي عند النخلة، وهي تشكو إليه وتقول: يا رسول الله إن القوم يريدون قطعي لأني منعتهم المرور! فمسح رسول الله ﷺ بيده المباركة النخلة فاستقامت. فلما أصبحتُ ذهبت إلى النخلة فوجدتها مستقيمة فذكرت أمرها للناس **فتعجبوا منها واتخذوها**

[1] - ص٢٦ ج١ بـ٤ اليواقيت والجواهر
[2] - ص٢٠٧ ــ ٢٠٨ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس

مزاراً متبركاً به. ولكم نتمنى بالفعل لو نهى الناس عن تقديسها على الأقل لو ذكرهم بما فعله عمر بن الخطاب بالشجرة التي هم بعضهم إلى تقديسها أو لو ذكرهم بتوبيخ الرسول يقظة لصحابته الذين أرادوا مضاهأة ذات نواط التي كان المشركون يعلقون عليها أسلحتهم للاحتفال تحتها تبركاً وتقديساً.

والشيخ محمد الحضرمي جاءهم يوم الجمعة "أي للمصلين" فسألوه الخطبة. فقال: بسم الله، فطلع المنبر فحمد الله وأثنى عليه ومجده ثم قال: وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام. فقال الناس: كفر. فسل السيف ونزل فهرب الناس كلهم من الجامع فجلس عند المنبر إلى آذان العصر وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع. ثم جاء بعض أهل البلاد المجاورة فأخبر أهل كل بلد أنه خطب عندهم وصلى بهم "فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة، هذا ونحن نراه جالساً عندنا في بلدنا"[1]. فتجليات ظهوره المتعددة حسب الرواية كان كرامة لقوله الحق، ولكن كيف يكون إبليس برأيه هو الإله الذي يعبده المسلمين، وهب أنه استخدم مصطلح "العوام" والمحجوبون أو كشفت له معاصيهم وفساد عقائدهم، فكيف له الصلاة والسلام على اللعين بتلك العبارات المقرونة بذكر الأنبياء والمرسلين؟ ومن الذي أفسد على المسلمين إقامتهم للصلاة حتى خرجوا

[1] - ص١٠٧ ج٢ الطبقات الكبرى

من المسجد هرباً من السيف؟ أم أن الله يكرم من سفَّه المسلمين في عقائدهم ومن يمنعهم من إقامة التكاليف؟ وهل من يفعل هذا يعد من أولياء الله الصالحين؟ لا، ولو أتى بألف ألف خارقة!

ومما مرَّ معنا نرى أن الكرامات في الفكر الصوفي لا علاقة لها بأداء التكاليف والقيام بالنوافل ولا بالانقياد للأوامر الإلهية إن لم تكن على العكس، وها هي كما رأيناها قد تحمي وتناصر من لا وزن للأوامر والنواهي الإلهية عنده.

ـ الكرامة وصراع أولياء التصوف مع البيئة:

طبيعة التصوف تفرض عليه صراعاً مريراً على جبهتين مع البيئة التي يعيش في كنفها بما فيها من فقهاء وعلماء وسلطة، والثاني: صراع الأولياء مع بعضهم البعض على السمعة وموارد الرزق. ومن أجل هذا كله كان صراعهم العنيف الذي لا يرحم باستخدامهم الكرامات كأعتى سلاح في حسم النزاعات الدائرة على هذين المحورين.

ولقد قالوا عن الرخصة في إظهار الكرامات: أنه لا بأس بذلك في حضور المنكرين للطريقة العلية بنية تخلصيهم مما هم فيه من البلية"[١]. فمن الجائز للصوفي أن يتحدى بالكرامة دفاعاً عن نفسه وبرهاناً على صحة التصوف لكسب المريدين للطريقة العلية، والقشيري جعل من الشافعي وابن حنبل في علومهما كأقزام الجهلة أمام الراعي الصوفي شيبان صاحب العمق المعرفي الذي شهدا له حسبما يزعم، والشيخ عبد القادر الجيلاني استطاع أن يمحو العلم من قلوب مائة فقيه جاءوا لاختبار سلامة إيمانه أو صحة معرفته الشرعية"[٢]، والشيخ محمد الفرغل "كان رضي الله عنه يقول كثيراً: كنت أمشي بين يدي الله تعالى تحت العرش

[١] ـ ص٢٨٠ قلادة الجواهر
[٢] ـ ص٤ ــ ٥ الفتح الرباني

وقال لي كذا وقلت له كذا. فكذبه شخص من القضاة فدعا عليه بالخرس فخرس حتى مات"[1].

فليس جائزاً الشك في أكاذيب الصوفي ومزاعمه، وها هو الله ينتقم من أعدائه الذين أرادوا وضعه في كفة الموازين الشرعية، ولولا استقامة الصوفي مع الله لما أخرس الله الطاعنين باعتقاده! والشيخ سيدي علي المحلى "أنكر عليه مرة قاض في دمياط وقال له: ما مذهبك؟ فقال: حنشي، ثم نفخ على القاضي فإذا هو ميت"[2].

فقد سمع الفقيه من الشيخ علي ما ينكر عليه حتى دعاه العجب للسؤال عن مذهبه علَّه يتعرف إليه أصولاً فهزأ علي به وإمعاناً في الاستهزاء بمذهبه الحنفي سمى نفسه بالحنشي، فنفخ عليه فمات وانتصر الحنشي على الحنفي بكرامة قاتلة من الله سبحانه وتعالى!!

"وكان الشيخ يوسف الهمداني يتكلم على الناس فقال له فقيهان كانا في مجلسه: اسكت فإنما أنت مبتدع، فقال لهما: اسكتا لا عشتما فماتا مكانهما"[3]، والشيخ محمد بن أبي حمزة يقول: "رأيت فقيهاً أنكر على فقير "أي صوفي" صنعة الخيال "أو السحر" مع المحيطين، فأخرج الفقير للفقيه باباً من الخيال وأجلس الفقيه على مكان وجاء الفيل فلفه بزلومته

---

[1] - ص١٠٤ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] - ص١٠٩ ج٢ نفسه
[3] - ص١٣٦ ج١ نفسه

وضرب به الأرض فمات"[1]، "وتعصب مرة فقهاء أخميم على ذو النون المصري رضي الله عنه ونزلوا في زورق ليمضوا إلى السلطان في مصر ليشهدوا عليه بالكفر. فأعلموه فقال: اللهم إن كانوا كاذبين فغرِّقهم فانقلب الزورق والناس ينظرون فغرقوا حتى رئيس المركب، فقيل له: ما بال الرئيس؟ فقال: قد حمل الفساق"[2]، والشيخ عبد القادر السبكي صاحب الشطحيات الكثيرة على الله "أخرب دوراً كثيرة من المنكرين عليه رضي الله عنه"[3] بكراماته، أما الشيخ ابراهيم الجعبري فقد "كان يوماً يعظ والناس يبكون، فقال لهم: قولوا معي: شقع بقع بالله يقع! فجاء الخبر أن القاضي المالكي نزل من باب المدرج من قلعة مصر فوقع فانكسرت رقبته. فجاء الخبر أنهم عقدوا مجلساً في منعه من الوعظ وقالوا أنه يلحن في القرآن وفي الحديث. فامتنع القضاة الثلاثة وأفتى المالكي بمنعه- ثم عقد العلماء له مجلساً فأفتوا بتعزير الشيخ، فحبس الشيخ بولهم وبول السلطان فعجزوا عن إطلاقه بكل حيلة، فنزلوا إليه واستغفروا فأمرهم بالاستنجاء من إبريقه فأطلق بولهم"[4]، ويقول الشيخ عبد الغني النابلسي متفاخراً بما له عند الله من حظوة وقرب: "إن الله قتل بي من الناس على عدد شعر رأسي، وسيقتل أيضاً، إن الله أهلك أخصامي جميعاً وأبقاني

---

[1] - ص١٦٠ ج١ نفسه
[2] - ص١٥ ج١ نفسه
[3] - ص١٨٥ ج٢ نفسه
[4] - ص٢٠٤ ج١ نفسه

له"[1]، والشيخ حسين الجاكي عقد الفقهاء "مجلساً عند السلطان ليمنعوه من الوعظ وقالوا إنه يلحن، فرسم السلطان بمنعه فشكا ذلك لشيخه الشيخ أيوب الكناس، فبينما السلطان في بيت الخلاء إذ خرج له الشيخ أيوب من الحائط والمكنسة على كتفه في صورة أسد عظيم وفتح فمه يريد أن يبلع السلطان، فارتعد السلطان ووقع مغشياً عليه، فلما أفاق قال له: ارسل للشيخ حسين يعظ وإلا أهلكتك ثم دخل من الحائط"[2].

أي: بالتخييل والسحر نصره الله على الفقهاء!

وغضب السلطان على الشيخ حسن التستري ذات مرة فأرسل وزيره وسد باب زاويته فغضب الشيخ قائلاً: ونحن نسد أبواب بدنه وطيقانه، فعمي الوزير وطرش وخرس وانسد أنفه عن خروج النفس وقُبله ودبره عن البول والغائط فمات الوزير، فبلغ ذلك السلطان فنزل إليه وصالحه وفتح له الباب"[3].

وعندما أراد الفقيه ابن أبي الفرج ترحيل الشيخ عن زاويته "فلحقه شيء في جنبه فطلعت روحه في الحال"[4]، وعندما جاء حرس الخليفة للقبض على المتصوفة الخارجين عن الشرع قال أحدهم: "فبقيت واقفاً قدام المتولي "متولي الحدود" لا هو يبصرني ولا زبانيته وإذا بالحائط

---

[1] - ص٩٥ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس
[2] - ص٢ ج٢ الطبقات الكبرى
[3] - ص٦٦ ج٢ نفسه
[4] - ص٦٧ ج٢ نفسه

الذي خلفه انشق ودخل منه رجل عليه ثياب خضر، فأخذ بيدي وأخرجني من الشق، وعاد الحائط كما كان"[1].

ملاحظة:

إن الكرامة في الفكر الصوفي تعتبر من أعتى الأسلحة التي يستخدمها الصوفي في ارتكاب جرائمه التي منها ما يلي:

١ – تعطيل فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ – تعطيل أحكام الشرع أو القانون بتعطيل مبدأ المحاسبة.

٣ – قتل من لا يستحق القتل وإيذاء المعارضين لآرائه.

٤ – تشجيع المسلمين على اللحن في القرآن والاستهزاء بالمأثور النبوي والتكاليف الإلهية، وسعيه لمحو العلم من صدور وقلوب الفقهاء حتى يصبح الإسلام ولا شرع ولا فقه له.

٥ – الخلط بين السحر والكرامة والاستعانة بالتخييل والسحر لارتكاب معظم جرائمه التي منها إرهاب وإيذاء وقتل الخصوم من الفقهاء ومتولي الحدود والسلاطين، وقتل المسلمين بالجملة وتخريب بيوتهم دون ذنب ارتكبوه.

---

[1] - ص٢٣ سير الأولياء

أما ابن خلدون الذي ذكر البعاجون من سحرة المغاربة الذين يقتلون بالهمة على حد تعبير ابن عربي يقول: إن فقهاء الإسلام قد أجمعوا على أن "القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل"[1].

[1] - ص٥٠٣ مقدمة ابن خلدون

ـ الكرامة وصراع أولياء التصوف فيما بينهم:

الكرامة في الفكر الصوفي ذات شأن حاسم في فض النزاع ومعرفة الأرفع مقاماً من بين الأولياء، فهي السلاح الأجدى لحيازة الجاه والنصر على الأعداء والشيخ ذو النون المصري مثلاً الشهير بتعاطيه للسحر "حضر أحد تلامذته مجلس أحد القوالين "أو المنشدين"، فلما طاب السماع وتواجد السامعون صرخ ذلك التلميذ ووقع فحركوه فوجدوه ميتاً، فوصل الخبر إلى ذي النون. فقال لأصحابه: تجهزوا حتى نصل إلى ذلك القوال، فلما وصلوا إليه غنى ذو النون وأصحابه والقوال يسمع ثم صرخ ذي النون ووقع القوال ميتاً، فقال ذي النون: قتيل بقتيل أخذنا ثأر صاحبنا!"[١].

فالشيخ ذو النون اعتبر القوال مجرماً لقتله مريده فثأر له بنفس الطريقة، والحق أن المسألة وطالما حفلات مجالس السماع ذات ارتباط بالأجر والسمعة فقد خشي ذو النون على ما يبدو من اعتبار القتل كرامة للقوال أو لشيخه مما يؤدي لرفع مقامه عند الناس، فقام هو الآخر بقتل القوال بالكرامة وهكذا يكون التساوي في جرائم الكرامة التي لا يمكن أن تكون ذات انتماء رحماني.

[١] ـ ص٢٤٩ ج١ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق

ويروي القشيري أيضاً أنه "كان بالمغرب شيخان "من المتصوفة" لهما أصحاب وتلامذة يقال لأحدهما جبلة وللثاني رزيق فزار رزيق يوماً جبلة في أصحابه فقرأ رجل من أصحاب رزيق شيئاً فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات. ولما أصبحوا قال جبلة لرزيق: أين الذي قرأ بالأمس فليقرأ، فقرأ آية فصاح جبلة فمات القارئ. فقال جبلة: واحد بواحد والبادي أظلم"[١]. فأية استقامة مع الله إحداث هذه الجرائم، فهل هي عن قرب إلهي لهؤلاء الأولياء؟!

وأيضاً "كان شاب يصحب الجنيد، فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوماً: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني، فكان إذا سمع شيئاً يتغير ويضغط نفسه حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه بقطرة، فيوماً من الأيام صاح صيحة تلفت نفسه"[٢] فمات، ولكن كيف تركه الجنيد لمصيره المحتوم وهو الذي عرَّف الولي بأنه العارف لسرِّك وأنت ساكت، أم أن الولاية لم تكن له حينها؟ الله أعلم!

الشيخ محمد بن عراق اتهم الشيخ محمد المنير بأكل الحرام ووصل إليه الخبر "فمضى إليه الشيخ محمد المنير حافياً مكشوف الرأس فلما وصل إلى خلوته بالحرم النبوي قبَّل العتبة ووقف خاضعاً غاضاً طرفه وقال: يا سيدي! يدخل محمد المنير؟ فلم يرد عليه سيدي محمد ابن عراق شيئاً، فكرر

[١] - ص١٥٥ الرسالة القشيرية
[٢] - ص١٥٦ نفسه

عليه القول فلم يرد عليه شيئاً، فرجع منكسراً. فلما حكيت هذه الحكاية لسيدي علي الخواص حين قدم مع الحاج المصري قال: وعزة ربي قتله، فإنه ما ذهب قط لفقير على هذه الحالة إلا وقتله. فجاء الخبر بأنه مات بعد خروج الحاج من المدينة بعد عشرين يوماً"[1]. فأولياء الله إذن يقتلون بالهمة أو بما يتمتعون به من قوى زائدة أو سحرية، أم أن الكرامة انتصرت لمن خرق الشرع في مصادر رزقه المشبوهة؟!

والشيخ أبو العباس بن عطاء خالف الجنيد في رأيه على أيهما أفضل الشكر أم الصبر "فدعا عليه الجنيد فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وإتلاف أمواله وزوال عقله أربعة عشرة سنة، فكان يقول: دعوة الجنيد أصابتني، ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر"[2].

فهذه الكرامة القاتلة للأولاد البريئين جاءت انتصاراً للطريق الصوفي ومنهجه. علماً أن المفاضلة بهذه الصيغة من وجهة النظر الإسلامية والاجتماعية خاطئة لأن الإسلام يسعى لإيجاد الصبر مع الفقر والشكر مع الغنى من أجل التواؤم الاجتماعي دونما طرح للموانع التي تبعدهما أو أحدهما عن الله.

---

[1] - ص١٣١ ج٢ الطبقات الكبرى

[2] - ص١٤٠ ج٤ إحياء علوم الدين

وذات مرة اختلف الحلاج على رئاسة المشيخة مع أولياء التصوف أمثاله حتى اضطره الأمر إلى أن "حفر حفرة وأوقد فيها النار، ووضع هاون حتى صار كالجمر وقال لمن جادله من الصوفية ومن كبار العارفين: من كان صادقاً بالله فليقدم ويقف على الهاون داخل النار، فلم يقدر على ذلك أحد. ثم إنه تقدم ووقف عليه فذاب تحت أقدامه حتى صار كالماء"[١]. ولكن الجنيد كان قد اتهمه بالسحر والشعوذة وما أكثر اتهام بعضهم بعضاً بهذه النعوت التي هم أدرى بها، وما أكثر الأحقاد والكره بين أولياء التصوف، فالسهروردي مثلاً ذهب مرة لزيارة الشيخ علي الكردي "فلما رآه علي الكردي قد قرب منه فعيَّن بعورته إليه"[٢]!! وأي أخلاق هذه التي تنسب لأولياء الله؟ ولا هكذا كانت أخلاق الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

وذات مرة اجتمع مشايخ الصوفية منهم سيدي بقاء بن بطو ومنهم سيدي حماد الدباس ومنهم أبو سعيد الخراز- وأبو الوفا- والواسطي- وعقيل المنجمي- وقيس الحراني"[٣]، "وعبد القادر الكيلاني- وأحمد الأزرق"[٤] للبحث فيمن سيكون شيخ المشايخ، فقال الرفاعي "لهم أي سادة – هذه الشجرة – من كان منكم يريد مشيخة الشيوخ إليه فيدعوها بأن تأتي

---

[١] - ص٩٢ الحلاج شهيد التصوف الإسلامي
[٢] - ص٦٧ سير الأولياء
[٣] - ص٩١ قلادة الجواهر
[٤] - ص٩٢ نفسه

إليه إلى هذا الجانب، فنقوم كلنا نبايعه ونكون في خدمته، فلما قام أبو الوفا ودعاها تمايلت- ودعاها عبد القادر الكيلاني فقامت من مكانها- ووقفت هناك- فلما جاءت نوبة الشيخ الكبير السيد أحمد- شقت الأرض والبحر وأتت طائعة مقرة شاهدة بلسان عربي فصيح قائلة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأنك شيخ الشيوخ على الإطلاق، وشيخ أهل الأرض والسماء- وبايعوه أن يكون شيخاً عليهم"[1].

وهكذا انتصر الرفاعي على أقرانه الذين تحداهم بالكرامة أو المعجزة حتى أصبح بها شيخاً على أولياء الأرض وشيخاً لأهل السماء بما فيهم حتماً جبريل وميكائيل وإلى ما هنالك!

وانظر إلى هذه المعجزات التي جرت بين اثنين من أولياء التصوف لترى كيف يكون الاجتماع اللامعقول لعظم المعجزة مع تفاهة دواعيها، فقد طلب الشيخ احمد البدوي من بنَّاء كان يبني عند الشيخ علي المليجي أن يبني له، وعندما رفض سقطت يده مقطوعة "فجاء البناء بيده في قفة النجاري مقطوعة، فأخذها سيدي علي وبصق عليها فالتصقت بإذن الله تعالى، وأرسل يقول لسيدي أحمد: ليس الرجل من يفصل وإنما الرجل من يوصل"[2]. ولكن أين إفراد القصد إلى الله والزهد فيما سواه وقهر هوى النفس وإلى ما هنالك؟! والحقيقة أو من باب الملاحظة نقول: أنه لا وجود

---

[1] - ص٩٢ نفسه
[2] - ص٤١٢ نفسه

لإفراد القصد إلى الله ولا وجود للزهد لما سوى الله إلا إن أراد الصوفي التحرر المطلق من كل المعلوم القرآني والنبوي أو للفصل ما بين العمل كأسباب والجنة والنار كنتائج، بل إن الصوفي لم يقل بمخالفة النفس على الإطلاق في رياضاته إلا لتمرير مآرب لا استقامة لها مع ما أمر الله به ونهى عنه.

ـ كرامات غير خلقية:

من المعلوم وفق الأثر أن جبرائيل عليه السلام أتى الرسول صلى الله عليه وسلم يستأذنه لطم مكة بجبليها ولكنه رفض ودعا لأهلها بالصلاح. أما الصوفي الوارث للأنبياء كما يزعم فإننا نراه لا يتورع عن القتل وإيذاء البريء والمذنب على السواء، وهيهات للخضر أن يشفع لأهل التصوف بقصته مع الغلام لأنه شتان بين الأنبياء أو أولياء الله وبين أولياء التصوف الزاعمون لوراثة الأنبياء.

فالشيخ ابراهيم الخواص بإشارة منه كان قد قلع عينا اللص الذي روى لنا حكايته قائلاً: "فأشار بإصبعيه من بعيد إلى عيني فسقطتا. فقلت بالله عليك من أنت؟ فقال: ابراهيم الخواص"[١]، وذات مرة صفعه لص فقال مبتهجاً: "وإذا الذي صفعني قد سقط عن جرف وطار رأسه"[٢]. ولكن لو أعطاه جوزاً أما كان أفضل؟ بل ومن الأفضل أيضاً لو أصلحه عوضاً عن قتله! إلا أن المسألة على ما يبدو مسألة اختلاف تشريعي ما بين شريعة الذين تغلبوا على نفوسهم حتى كان لهم الوصول إلى الله أو التجوهر على الطبيعة الملائكية وبين الشريعة الإسلامية، فالشريعة الإسلامية كما هو معلوم تقطع اليد للسارق لا تقلع عيناه وليس من شريعة

---

[١] ـ ص١٦٥ الرسالة القشيرية

[٢] ـ ص٢٢٦ ج٢ إيقاظ الهمم

تقتل على الصفعة إلا إن قلنا والله أعلم بأنها كرامة تسعى لنسخ المعروف من شريعة الله التي أرسلها إلى محمد ﷺ.

الشيخ أبو بكر الدقدوسي "كان له صاحب "صوفي" يصنع "أي يبيع" الحشيش المخدر بباب اللوق. وعندما سئل عن ذلك قال: يا ولدي ليس هذا من أهل المعاصي إنما هو جالس يتوِّب الناس في صورة بيع الحشيش، فكل من اشترى منه لا يعود يبلعها أبداً"[1]. وهل العبرة إلا بالباطن الذي تجهلون أمره على الحقيقة؟ ولكن ما الذي سيفعله الشرع إن تم تجميده أو نسخه بهذه الكرامات، وأي فعل له إن راح الصوفي يبيع الخمور ويتاجر بالمومسات ويفعل المعاصي والكبائر بحجة أنه يتوِّب الناس عن هذه المنكرات؟! بل إن الشيخ أبا السعود الجارحي كان "إذا غلب عليه الحال نزع ثيابه وصار عرياناً ليس في وسطه شيء"[2] في الطرقات وأمام الناس، ولكني لا أظن أن هذه الأحوال رحمانية المنشأ لأن اللعين إبليس هو الذي نزع عن أبينا آدم لباسه لتُرى عورته أو سوءاته. أما الشيخ أبو الحجاج الأقصري فقد أتى بكراماته بالجارية الحسناء من بلدها البعيدة إلى خلوته رغماً عنها!"[3] وحتى الحيوانات البريئة أيضاً لا تنج من شرور كرامات الصوفي، فمرة "خرج ممشاذ من باب الدار، فنبح

[1] - ص١٠٥ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] - ص١٣٠ ج٢ الطبقات الكبرى
[3] - ص٩٥ سير الأولياء

عليه كلب، فقال ممشاذ: لا إله إلا الله. فمات الكلب مكانه"[1]، والشيخ عبد القادر الجيلاني "توضأ يوماً فبال عليه عصفور فرفع رأسه إليه وهو طائر فوقع ميتاً"[2] عقاباً له على فعلته! أما الشيخ أبا مدين المغربي فقد اجتمعت عليه الطيور تضرب بأجنحتها وتصفق لتنال بركة علومه "حتى مات منها طائفة ومات رجل من الحاضرين"[3]. وما ذنب المسكين حتى مات بهذه الكرامة؟

واسمع إلى هذه الكرامات لأولياء الله من أهل التصوف، فالشيخ ابراهيم بن عصيفير غضب على أحد الذين يؤذونه فأرسل عليه البلاء "وقال له شخص مرة: ادع لي يا سيدي. فقال: الله يبليك بالعمى في حارة اليهود. فعمي كما قال في حارتهم. وقال له شخص ومعه بنية حاملها: ادع لبنتي هذه. فقال: الله يعدمك حسها فماتت بعد يومين"[4]، والشيخ أحمد السطيحة كان كسيحاً "ووقعت له كرامات كثيرة: منها أن أم زوجته تسللت عليه ليلة فرأته قد انتصب قائماً سليماً من الكساح كأحسن شباب. فلما شعر بها زجرها فخرست وتكسحت وعميت إلى أن ماتت"[5]، "ومن مناقبه رضي الله عنه: أن بعض الفلاحين سخر بطرطوره فأكل شوك

[1] - ص٣١٧ طبقات الصوفية
[2] - ص٤ الفتح الرباني
[3] - ص١٥٦ ج١ الطبقات الكبرى
[4] - ص١٤٠ ج٢ نفسه
[5] - ص١٣٦ نفسه

اللحلاح فوقفت شوكة في حلقه فمات في الحال. وخطب مرة بنتاً بكراً فرفضته. فلحقها الفالج فلم ينتفع بها أحد إلى أن ماتت"[1]، وبلدته كان يدعو عليها بالخراب وعلى أهلها الذين كانوا ينكرون عليه، فوقع بينهم القتل وخربوا وهي خراب إلى وقتنا هذا"[2].

فما الذي فعله الرجل حتى نال بركة العمى في حارة اليهود، وما الذي فعلته الطفلة حتى قتلها، وأي ذنب اقترفته المرأة حتى أرسل عليها كراماته فخرست وكسحت وعميت ثم قتلت وأية كبيرة تستحق القتل لمن استهزأ بطرطوره؟ أم لا شرع قد أمر بموافقة الفتاة على عريسها حتى أرسل عليها الفالج وحرمها من الزواج طوال الحياة؟ وأية أخلاق هذه لأولياء التصوف التي تدعو لخراب البلدان وأهلها، ولكن هلا أدركت أيها القارئ أن كل هذه الجرائم المقدسة لم تكن إلا عقاباً صوفياً على خدوش أصابت أهواء الأولياء؟

الصوفي يحمي نفسه بالحال ويقتل أعدائه بالكرامات الإلهية أو بالهمة القاتلة أو السحر، وهل أعداؤه إلا أعداء الله الذين آذنهم الله بالحرب؟! فالشيخ ابراهيم المتبولي مثلاً "يستحب للولي أن يحمي نفسه وأصحابه بالحال والكرامة"[3].

---

[1] - ص١٣٧ نفسه
[2] - ص١٣٧ نفسه
[3] - ص١٠٢ ج٢ م٥٠ اليواقيت والجواهر

الإنكار على الصوفي أو الشك في سلوكه وعقائده يستوجب القتل، فالشيخ عبد القادر الكيال الرفاعي "نظر- قدس الله روحه إلى رجل من غير المسلمين كان كثير الإنكار عليه وهز رأسه فصار ذلك الرجل يهز رأسه أيضاً- فبقي على حاله أياماً ومات"[1]، والشيخ علي بن عثمان الرفاعي أيضاً "كان قوياً في الله متمكناً بأمر الله ما خالف أمره أحد إلا قتله الله!"[2]. إلا أن الصوفي الرحيم يأسف على ضحاياه ويبكي ألماً بعد أن يقتلهم، فالشيخ أبو عبد الله الرندي حسب ابن عربي القائل: "سألته عن بكائه يوماً. فقال: آليت أن لا أدعو على أحد فأغاظني رجل فدعوت عليه فهلك فندمت على ذلك"[3]. لقد أغاظه الرجل وأغضبه فقتله الله انتقاماً لهوى وليه، ولكن إذا قتل الله بحكم غير موجود في شرعه فهذا معناه نسخ شرعه المعلوم! وأحد الأولياء من ورثة موسى عليه السلام قد أكرمه الله بأن جعله أميراً على القمل يرسله على أعدائه متى شاء ليهلكهم به، فقد "كان كل من تشوَّش منه يقول: يا قمل اذهب إلى فلان، فتمتلئ ثياب ذلك الشخص قملاً حتى يكاد يهلك. فبلغ سيدي محمداً رضي الله عنه ذلك- فقال له: أنت ما عرفت من طريق الله إلا القمل"[4]. فالقمل إذن من طريق الله

[1] - ص١٤٤ أشرف الوسائل
[2] - ص٣٢٤ قلادة الجواهر
[3] - ص٧٤ روح القدس في محاسبة النفس
[4] - ص١١٨ ج٢ الطبقات الكبرى

وتسخيره من الكرامات الإلهية، فبه حارب الله فرعون وهو وسيلة الصوفي في الدفاع عن نفسه.

الصوفي يقتل السلاطين بكراماته وبها يعزلهم متى رغب أو متى غضب عليهم، فنائب مصر رد شفاعة الشيخ عبد الرزاق الترابي مرة "فأقسم أنه لا ينزل من جامع القلعة إلا إن مات خير بك. فطلعت فيه جمرة فمات في اليوم الثالث فنزل الشيخ"[١].

ومن كرامات الشيخ أحمد السطحية "أنه شفع عند أمير. فلما خرج من عنده رجع وحبس الرجل ثانياً. فطلعت في رقبته غدة مختنقة فمات في يومه"[٢]. والشيخ ابراهيم المتبولي "كان سماً ناقعاً على الولاة فإذا تشوش من أمير أو وزير مات لوقته أو في ليلته"[٣]، وغضب مرة على الوزير "فدخل الوزير بيت الخلاء فانتظروه ليخرج فلم يخرج، فدخلوا عليه فوجدوا لحيته ووجهه في حلق الخلاء وهو ملطخ بالعذرة وهو ميت فرجع غالب الولاة عن معارضته في أمر من الأمور"[٤]، وكان رضي الله عنه يقول: "كل فقير لا يقتل بعدد شعر رأسه من الظلمة فليس بفقير"[٥] أو صوفي.

[١] - ص١٤٧ ج١ نفسه
[٢] - ص١٣٧ نفسه
[٣] - ص٨٥ نفسه
[٤] - ص٨٥ نفسه
[٥] - ص٨٧ نفسه

أما الشيخ محمد الزعبي فقد "كان يسكن بالرقة فشكوا له واليها، فاتفق أنه حضر إليه أو لقيه فقيل له: هذا والي الرقة، فصاح عليه فيها صيحة قال له فيها: مت! فمات في الوقت"[1].

الولي الصوفي لا يقتل اللصوص ولا أعدائه من العلماء والسلاطين بل حتى مريديه لا نجاة لهم من شر كراماته، فقد "كان العباس الدينوري – حسب القشيري – أو أبا العباس – حسب الغزالي – يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجداً. فقال لها: موتي، فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت: قد مت ووقعت ميتة"[2]، "وحكي أن رجلاً صاح في مجلس الشبلي فرمى به في دجلة وقال: إن كان صادقاً نجاه الله تعالى كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذباً أغرقه الله كما أغرق فرعون"[3]، والشيخ عبد القادر الجيلاني يلقي دروسه مرة "فتداخل الناس فترة "أو ملل" فنظر إلى السماء وقال: لا تسقني وحدي- فاضطرب الناس اضطراباً شديداً وتداخلهم أمر جليل ومات في المجلس واحد وقيل اثنان"[4]. فقد ماتوا لعدم قدرتهم على تحمل الواردات الإلهية التي طلب من الله أن يسقيهم منها حتى قتلهم بلا ذنب إلا حبهم لحضور مجلسه أو انتقاماً على مللهم منه.

[1] - ص٥٧ سير الأولياء
[2] - ص٤٨٢ ج٤ إحياء علوم الدين، ص٩٧ الرسالة القشيرية
[3] - ص١٠٥ ج١ الطبقات الكبرى
[4] - ص٤٥٧ قلادة الجواهر

القتلى في مجالس السماع بالجملة وبالطبع بفعل الكرامة، فقد "قال أبو طارق: شهدت ثلاثين رجلاً أتوا إلى مجلس الذكر صحاحاً فتصدعت قلوبهم من خشية الله فماتوا كلهم في مجلس واحد"[1]، والشيخ ذو النون المصري أمر السرير أمام الحضور مرة فدار في زوايا البيت الأربعة وعاد إلى مكانه "وكان هناك شاب فأخذ يبكي حتى مات"[2]. فأين سترهم للكرامات الذي شبهوه باستتار المرأة من حيضها، فما بال ذا النون يظهرها حتى قتل الشاب البريء؟

ومن كرامات الشيخ أحمد البدوي أنه "لم يزل متلثماً بلثامين، فاشتهى سيدي عبد المجيد رضي الله عنه يوماً رؤية وجه سيدي أحمد رضي الله عنه فقال: يا سيدي أريد أن أرى وجهك أعرفه. فقال: يا عبد المجيد كل نظرة برجل. فقال: يا سيدي أرني ولو مت. فكشف له اللثام الفوقاني فصعق ومات في الحال"[3].

وكرامات الصوفي لن تتورع عن قتل أطفاله أيضاً، فالشيخ عبد القادر الدشطوطي يقول: "فحصل لي جاذب إلهي. فقلت: اللهم إن كان هذا وارد منك فاقطع علائقي من الدنيا، فمات الأولاد ووالدتهم والبهائم

[1] - ص٤٠٩ نفسه
[2] - ص١٦٧ الرسالة القشيرية
[3] - ص١٨٤ ج١ الطبقات الكبرى

ولم يبق أحد دون أهل البلد فخرجت سائحاً إلى وقتي"[1]. وعندها تحقق أن الجاذب إلهي المصدر لا شيطاني الطبيعة، وسيدي الشيخ حبيب المجذوب يقول عنه: "ليس له كرامة إلا في أذى الناس"[2]. وهل أذى الناس من الكرامات الإلهية أو من المكر كما يقولون أم من الشيطان؟

ومرة كان أخوان من الأولياء يتكلمان عن مناقبهما وورعهما في إقامة الفرائض إلى حد الوسواس. قال أحدهما: "كنت أقوم إلى الصلاة فأميل مرة على هذه الرجل ومرة على هذه الرجل فلا أدري أكنت أعدل بينهما أم لا-. معتبراً ذلك من كبائره، فسمعهما أبوهما من داخل الدار فقال: اللهم إن كانا صادقين فأمتهما. فخرج فإذا بهما قد ماتا"[3].

القتل بالهمة أو بالسحر والمشي على الهواء – كما يقول الشعراني – إرث محمدي "خاص بأهل الإسلام-. فأهل الله عز وجل لا يحصل لهم هذا الحال إلا بعد المبالغة في اتباع الشريعة"[4]. فالمبالغة باتباع الشريعة إذن تعطي الأولياء قوة يقتلون بها الناس سواء كانوا بريئين أم أعداء، إلا أن ابن عربي له هو الآخر في هذا الشـأن قصة، فقد كان له عدواً ينكر عليه ويشك في عقيدته فرأى صورته في المنام وأحدهم يأمره أن يقرأ "إنا أخذه بك أليم شديد" ولما آمن معه بأن هذه القراءة هي الصحيحة لا

[1] - ص١٣٨ ج٢ نفسه
[2] - ص١٤٢ نفسه
[3] - ص١٠٧ – ١٠٨ روح القدس في محاربة النفس
[4] - ص١٠٤ ج٢ م٥٠ اليواقيت والجواهر

القراءة الموجودة في القرآن كان أن أرسل الله على عدوه رجلاً قتله وهو نائم، وبعدها قتل السلطان هذا الرجل الذي اعترف بفعلته وقال ابن عربي بعدها فرحاً: "وهذا من أعجب التنزلات"[1]، ولكن "هل يسمح الله لولي أن يرتكب جريمة قتل لأن أحداً افترى عليه؟ إن المرء ليستنتج أن الروح الذي قرأ له الآية مشوهة إنما كان روح شيطان ليس إلا"[2]، "فالشخص الذي يتلو بعض الفقرات من كتاب ديني بقصد إيذاء غريمه لا يكون متديناً بل ساحراً، وإن كان ما يقرأه من صميم الدين وصلبه"[3].

فالشيطان لم يحقق رغبة ابن عربي في قتل عدوه إلا لما آمن ابن عربي بأن ما قرأه عليه هو من القراءة المحرفة هو الصواب، فبعد تكذيب القرآن وتحريفه كان قتل الرجلين. وهكذا استمتع كل منهما بالآخر فليس القتل كائناً عن المبالغة في إقامة الشريعة وحفظ حدودها كما زعم الشعراني وإنما في خرقها، فمن خرقها أتاه الشيطان بخوارقه أو خرق له المعتاد.

وهناك وجهاً آخر إلى اللاخلقية التي ميزت الكرامة الصوفية يمثله الشيخ الدباغ. فالدباغ داعب مرة مريده ابن المبارك فأخبره ببعض معاصيه القديمة، وعندما سأله متعجباً عن مصدر معرفته هذه، قال: وهل

---

[1] - ص٦٩٣ ج٢ بـ٢٩٩ الفتوحات المكية
[2] - ص٥١٥ الروحية عند محيي الدين ابن عربي
[3] - ص١١١ السحر والتنجيم

يغيب على الله تعالى شيء؟"[1]، وعندما أراد ابن المبارك الزواج بإحداهن استشار في ذلك شيخه الدباغ، يقول: "فذكر لي فيها أموراً لا يعلمها إلا الله، ثم لما عزمت على الدخول قال لي: أنا ليلة الدخول أكون عندكم"[2]. وكانت علامة إنجازه لوعده أن ضرب زوجة مريده على أنفها حتى خرج منه الدم. وذات مرة نرى الدباغ وقد علم بحديث دار بين ابن المبارك وزوجه وكأنه ثالث اثنين بينهما"[3]، بل وكان يحضر بينهما دون أن يرياه وإنما يشمان رائحته وكانت زوجة ابن المبارك "تحبه حباً شديداً، وكذلك هو يحبها حباً شديداً"[4]، ومرة أخبر الدباغ ابن المبارك بنظره إلى عورة زوجه عمداً فنهاه أن يعود لمثلها تارة أخرى"[5]، ومرة أخرى أخبره بالجمع سهواً بين زوجتيه"[6]، وكثيراً ما كان الدباغ يداعب ابن المبارك في مخدعه دون أن يراه"[7]. وأخيراً بشَّره بغلام تحمل به زوجه وطلب منه أن يسميه باسمه وعند ولادته يقول ابن المبارك: "وهو أشبه الناس به بشرة"[8]. فسبحان الله!!

---

[1] - ص٨٣ ج١ الإبريز
[2] - ص٨٦ ج١ نفسه
[3] - ص٧٣ نفسه
[4] - ص٧٣ ج١ نفسه
[5] - ص٨٤ نفسه
[6] - ص٨٤ نفسه
[7] - ص٨٥ نفسه
[8] - ص٨٣ نفسه

والمريد "علي" يقول عن كرامات شيخه الدباغ: فقد "وصف لي زوجتي من رأسها إلى قدمها، عضواً عضواً، ما ظهر منها وما خفي، وكانت كما وصفها لم يزد ولم ينقص، حتى لو كُلفت أنا بوصفها ما وصفتها كما وصف"[١]. فسبحان الله! إنه الكشف! وكان الدباغ يراه وهو يطأ زوجته حتى قال: "إن فلاناً كلما قدمت عليه "عند طلوع الفجر" أجده إما نائماً وإما أن يطأ زوجته في ذلك الوقت"[٢]. وكذلك ذكر أمام المريدين ما يفعله مريده هذا بزوجته من مداعبات مختلفة"[٣]، وكذلك أخبر مريده عبد الله التازي عن جماعه مع زوجه بعلامة وضعه ولده على الوسادة قائلاً: "أوما علمت أني حاضر معك؟"[٤]

وهل أعظم خساسة من هذه الكرامات الكشفية، فأي كشف هذا الذي ينسبونه إلى الله! أما ابن عجيبة فيرى أن هذه الكرامات هي للأولياء المنحطين "فلا عبرة – كما يقول – بمكاشفة أسرار العباد- ولا ننكر أن تكون عند العارفين، فقد تجتمع لهم المكاشفة والكشف أي مكاشفة أسرار العباد وكشف الحجاب عن الفؤاد. إلا أن الغالب هو استغراق الروح في

---

[١] - ص٩٤ نفسه
[٢] - ص٩٤ نفسه
[٣] - ص٩٥ نفسه
[٤] - ص٩٨ نفسه

شهود نور الملكوت دون الاستشراف إلى أسرار العباد التي هي من عالم الملكوت"[1].

فالدباغ إذن استنتاجاً لرأيه من الأولياء الذين ما زالوا محجوبون بالملكوت عن شهود الأنوار ولكنه لم يقل صراحة بأن هذه الكرامات شيطانية المصدر، أما ابن عربي فيقول عن الأولياء: "منهم من يجالسهم الروحانيون من الجان- والكيِّس من الناس من يهرب منهم- فإن مجالستهم رديئة- فإنهم قد اجتمعوا مع الناس في كشف عورات الناس التي ينبغي للعاقل أن لا يطلع عليها"[2].

أي: إن الدباغ الرفاعي الطريقة الذي يزعم الولاية والقطبية حسب رأي كبيرهم غير عاقل ولا كيِّس وذو مجالس رديئة، والشياطين هي التي تخدمه في كشف عورات الناس أو في نقل أخبارهم إليه، فإنه إذن من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن! وتلك أفعاله تشهد على إنحطاط مشربه.

[1] - ص٤٨ ج٢ إيقاظ الهمم
[2] - ص٢٧٣ ج١ بـ٥١ الفتوحات المكية

ـ الخاتمة:

من كل ما مضى نستطيع القول بأن الكرامة في الفكر الصوفي تؤدي إلى ما يلي من المعاني:

* معجزات الأنبياء عن قوى فطرية للنفس ولغيرهم بالرياضات.

* من الجائز للولي جريان المعجزات النبوية بين يديه تماماً كالأنبياء.

* المعجزة والكرامة وخوارق السحرة والكفرة كل ذلك من الله سبحانه وتعالى ولا فرق إلا في الاسم والهدف.

* الكرامة مشروطة بأسبابها ولا أسباب لها إلا الرياضات.

* استمرار الكرامة لا علاقة له بالأخلاق ولا بالاستقامة مع الشرع والدين.

* الكرامة من أعتى الأسلحة التي يقاتل بها الصوفي أعدائه وحسَّاده وهي البرهان على استصواب آرائه حتى ولو كان بها الخروج عن الشرع والعقيدة وبها يكون تحقيق نزواته الشريرة أو اللاخلقية، وبها أيضاً يرمِّم الصوفي ما به من دونية وأمراض نفسية.

* الكرامات الصوفية غزيرة إلى حد أنهم حشدوها حتى في أسخف الأمور وأتفهها.

* الكرامة الصوفية ذات منطق أناني ومن أجل الأنانية كان تمييزهم ما بين الخوارق الحسية والمعنوية، ومن أجلها أيضاً قالوا بالاستدراج والمكر وإلى ما هنالك.

* منطق الكرامة الصوفية يؤدي لمزاحمة الأنبياء وبمصطلح الوراثة كانت الوراثة لخاتم الأنبياء.

* الصوفي يطرب لاقتران ذكره بالخوارق والكرامات ومن هذا الطرب كان ولعه بالسحر والطلسمات والتنجيم والحروف حتى كتب فيها الكتب والتصانيف.

* الكرامة الصوفية ذات طبيعة حقودة ولا ارتباط بينها وبين الرحمة لا مع الأطفال ولا مع الحيوانات ولا مع الأعداء ولا مع المريدين والأصدقاء والأقران.

- **المراجع:**

١. **القرآن الكريم.**

٢. **الزهد:** أحمد بن حنبل ط١ ١٩٨٣، دار الكتب العلمية.

٣. **التصوف في الإسلام:** د. عمر فروخ، دار الكتاب العربي ١٩٨١.

٤. **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر:** عبد الوهاب الشعراني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٩.

٥. **الإبريز:** |أحمد المبارك، تحقيق محمد عدنان الشماع ج١ ط١ ١٩٨٤، ج٢ ط١ ١٩٨٦.

٦. **الفتوحات المكية:** محيي الدين ابن عربي، مكتبة الثقافة.

٧. **العقلية الصوفية ونفسانية التصوف:** د. علي زيعور ط١ ١٩٧٩.

٨. **القسطاس المستقيم:** أبو حامد الغزالي، ج١ القصور العوالي، مكتبة الجندي.

٩. **السحر بين الحقيقة والخيال:** محمد زهير الحريري، ط١ ١٩٨٥.

١٠. **الفصل في الملل والأهواء والنحل:** علي بن حزم، دار المعرفة ١٩٨٣.

١١. **الصوفية في نظر الإسلام:** سميح عاطف الزين، ط٣ ١٩٨٥.

١٢. **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق:** د. زكي مبارك، دار الجيل.

١٣. **التصوف الثورة الروحية في الإسلام:** د. أبو العلا عفيفي، دار الشعب بيروت.

١٤. **الطبقات الكبرى:** عبد الوهاب الشعراني، دار الفكر.

١٥. **النور من كلمات أبي طيفور:** أبو يزيد البسطامي، هامش: شطحات الصوفية.

١٦. **الفتح الرباني:** عبد القادر الجيلاني، تحقيق محمد سالم البواب، دار الألباب.

١٧. **الغنية لطالب الحق:** عبد القادر الجيلاني، دار الألباب.

١٨. **الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم:** د. علي زيعور، ط١ ١٩٧٧.

١٩. **الصلة بين التصوف والتشيع:** د. كامل مصطفى الشيبي، ط٢.

٢٠. **الرسالة القشيرية:** عبد الكريم القشيري، ١٩٥٧.

٢١. **التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس:** عبد القادر أحمد عطا، ط١ ١٩٨٧.

٢٢. **المعقول واللامعقول:** د. زكي نجيب محمود، ١٩٧٥.

٢٣. **التعرف لمذهب أهل التصوف:** أبو بكر محمد الكلاباذي، المكتبة العلمية ١٩٨٠.

٢٤. **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل:** عبد الكريم الجيلاني، مطبعة حجازي، القاهرة ١٣٦٨ هـ.

٢٥. **الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية:** هامش إيقاظ الهمم.

٢٦. **الأنوار القدسية:** عبد الوهاب الشعراني، دار الفكر.

٢٧. **الكبريت الأحمر:** عبد الوهاب الشعراني، هامش: اليواقيت والجواهر.

٢٨. **الإنسان وقواه الخفية:** كولن ويلسن، ترجمة سامي خشبة، دار الآداب ط١ ١٩٧٧.

٢٩. **الإنسان والسحر:** سعيد إسماعيل ط٢ ١٩٨٦.

٣٠. **التصوف بين الحق والخلق:** محمد فهر شقفة ط٢ ١٩٧٠.

٣١. **الروحية عند محيي الدين ابن عربي:** د. علي عبد الجليل راضي.

٣٢. **التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة:** د. ابراهيم هلال ١٩٧٥.

٣٣. **المسكونون بالشياطين:** رياض العبد الله، ط١ ١٩٨٣.

٣٤. **الحلاج شهيد التصوف الإسلامي:** طه عبد الباقي سرور، ط٢.

٣٥. **السحر والتنجيم:** يوسف ميخائيل أسعد، دار نهضة مصر.

٣٦. **إيقاظ الهمم:** أحمد بن عجيبة، ط١ ١٩٨٦.

٣٧. **إحياء علوم الدين:** أبو حامد الغزالي.

٣٨. **أصول الفلسفة الإشراقية:** د. أبو الوفا التفتازاني، دار الكتاب اللبناني، ط١ ١٩٧٣.

٣٩. **أشرف الوسائل:** محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي، تحقيق عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط، ط١ ١٣٨٩ هـ.

٤٠. **ابن عربي حياته ومذهبه:** أثين بلاثيوس، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي ١٩٧٩.

٤١. **مقدمة ابن خلدون:** ابن خلدون، دار القلم ط٥ ١٩٨٤.

٤٢. **مجلة التراث العربي:** ١٩٨٠:٣، ٣٥، ٣٦: ١٩٨٩، ١٩٨١:٤، ١٩٧٩:١.

٤٣. **مدارج السالكين:** ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، ط٢ ١٩٧٢.

٤٤. **مواقع النجوم:** محيي الدين ابن عربي، مطبعة محمد علي صبيح، ١٩٦٥.

٤٥. **مرآة الزمان:** أبو يزيد البسطامي.

٤٦. **من التراث الصوفي:** د. أبو الوفا التفتازاني، ط٢ ١٩٧٦.

٤٧. **من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر:** محمد صادق عنقا، ترجمة د. محمد السباعي، د. ابراهيم الدسوقي، مطبعة دار النشر.

٤٨. **من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية:** د. عبد الرحمن مرحبا، ط١ ١٩٧٠.

٤٩. **معارج القدس في معرفة النفس:** أبو حامد الغزالي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط٥ ١٩٨١.

٥٠. **ميزان العمل:** أبو حامد الغزالي، مطبعة حجازي ١٩٦٣.

٥١. **قلادة الجواهر:** محمد أبو الهدى الصيادي.

٥٢. **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة:** أحمد الحراني ط١ ١٣٧٣ هـ.

٥٣. **تاريخ التصوف الإسلامي:** د. عبد الرحمن بدوي، ط١ ١٩٧٥.

٥٤. **تلبيس إبليس:** عبد الرحمن ابن الجوزية، ط٢ ١٣٦٨ هـ.

٥٥. **حقائق عن التصوف:** عبد القادر عيسى، ط٢ ١٩٧٠

٥٦. **شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية:** د. عبد الرحمن بدوي، ط٤.

٥٧. **فصوص الحكم:** محيي الدين ابن عربي، تحقيق أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي.

٥٨. **فلسفة التصوف قدرات وطاقات:** د. هاني يحيى نصري، ١٩٩٠.

٥٩. **في الإلهام والاختبار الصوفي:** د. رؤوف عبيد، دار الجيل للطباعة، ١٩٨٦.

٦٠. **رسالة الفرقان:** أحمد الحراني في مجموعة الرسائل الكبرى.

٦١. **روح القدس في محاسبة النفس:** محيي الدين ابن عربي، مكتبة الوكيل.

٦٢. **روضة الطالبين:** أبو حامد الغزالي، القصور العوالي ج٤ مكتبة الجندي.

٦٣. **سير الأولياء:** صفي الدين الحسني، تحقيق محمود ياسين وعفت حمزة.

٦٤. **لطائف المنن:** تاج الدين بن عطاء الله السكندري، مكتبة القاهرة ١٩٧٩.

٦٥. **نظرية المعرفة الإشراقية:** د. ابراهيم هلال ١٩٧٧.

٦٦. **هل هناك حاسة سادسة:** محمود ابراهيم الصغيري، دار الكتاب العربي.

٦٧. **طبقات الصوفية:** عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، ط٣ ١٩٨٦.

- الفهرس: